REUTERS

نظرة

في عينيها تختزن الطفولة مأساتها. ما شهدته تلك الطفلة من مآس أجبرتها وأسرتها على الفرار من بيتها، من وطنها الصغير، من وطنها الكبير، يصعب على النسيان. في مخيم اللاجئين، في أي مخيم للاجئين، تتحول الطفولة إلى أرقام، وتتحول الأرقام إلى أمل في مستقبل ملون بكل الألوان، عدا لون الدم.

في النظرة، نداء إلى العالم كله، إلى الإنسانية كلها، بأن تصبح أكثر إنسانية، وتتوقف عن القتل.

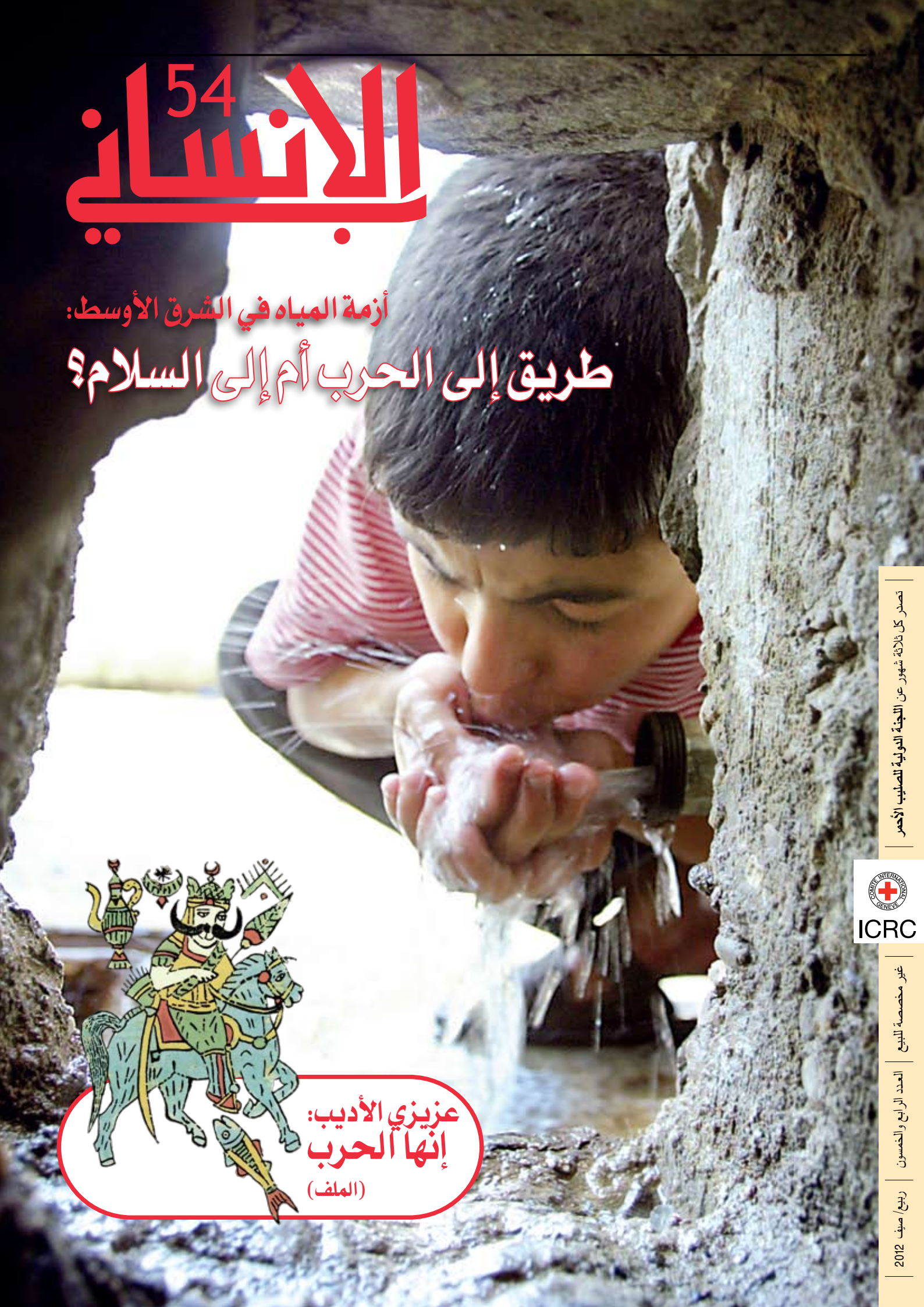

الإنساني 54

أزمة المياه في الشرق الأوسط:
طريق إلى الحرب أم إلى السلام؟

عزيزي الأديب:
إنها الحرب
(الملف)

تصدر كل ثلاثة شهور عن اللجنة الدولية للصليب الأحمر
ICRC
غير مخصصة للبيع
العدد الرابع والخمسون
ربيع/ صيف 2012

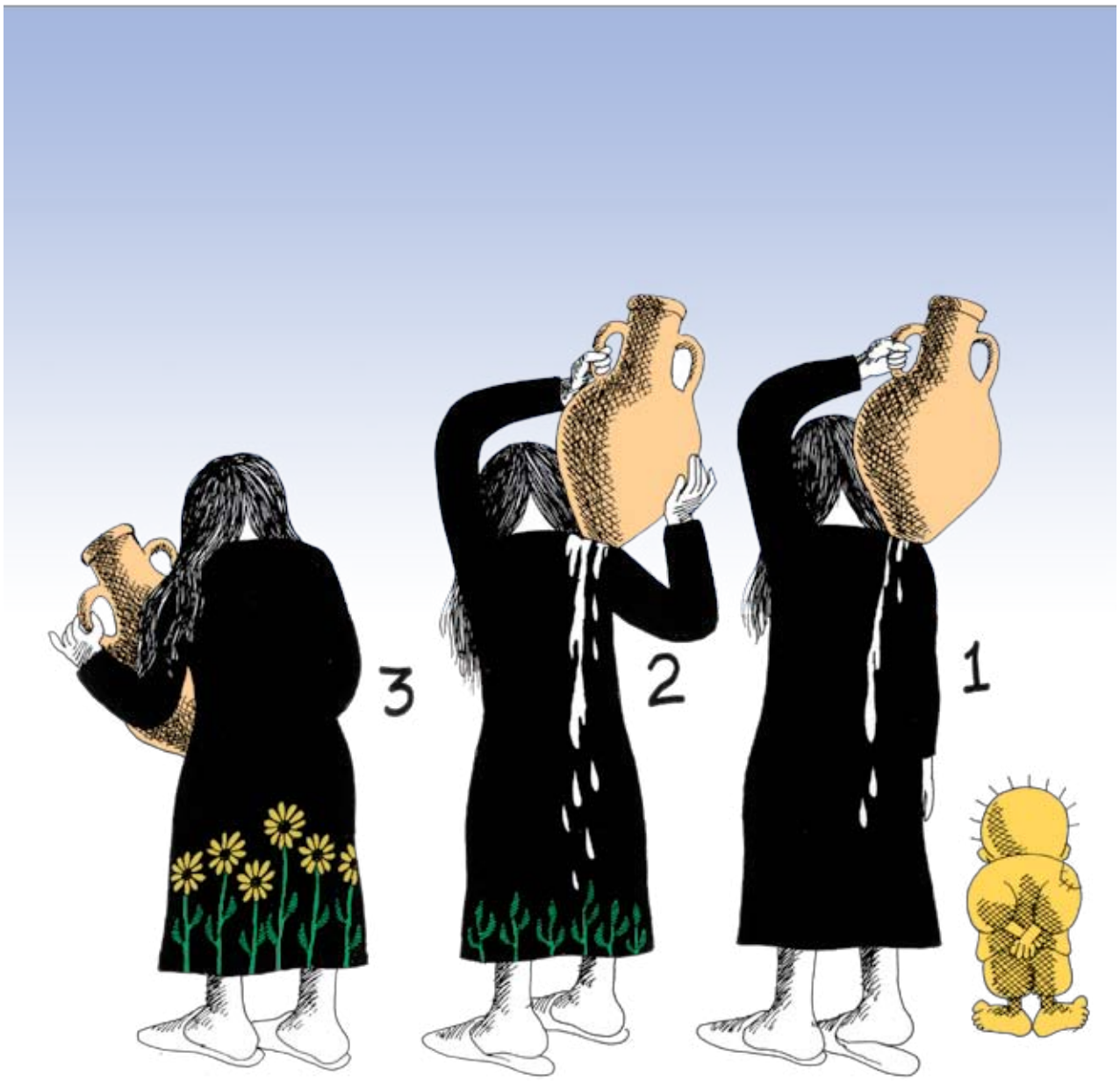

الرسم: **ناجي العلي**، فلسطين، [1937 – 1987]

البحث عن أمل

تدفع الحرب الرجال والنساء والأطفال إلى اتخاذ قرارات مصيرية لإنقاذ أرواحهم، فيقرر البعض البقاء حيث هم، أملاً في العثور على ملجأ داخل منازلهم أو بالقرب منها. ويفضل آخرون الفرار، بحثًا عن مكان أكثر أمانًا داخل بلدانهم أو خارجها.

لا يوجد في الحرب «اختيار صحيح» يتخذه المرء، فأيًّا كان الطريق الذي سيسلكه، سيكون عرضة للكثير من المعاناة والقلق. ويجد الذين يقررون البقاء في أماكنهم أنفسهم مجبرين على التعامل مع حقيقة مفادها أن حياتهم قد تكون عرضة للخطر في أية لحظة، وأن عليهم مواجهة النقص في المياه والغذاء والكهرباء والخدمات الصحية حيث تعمل مرافق الخدمات الصحية أيضًا فوق طاقتها أو ربما تكون متدنية تمامًا في أغلب الأحوال.

أما من يختارون الفرار من ديارهم إلى مكان آخر أكثر أمانًا فكثيرًا ما يطاردهم شعور بالاغتراب والقلق لسنوات طويلة. ويحتاج النازحون داخل بلدانهم واللاجئون الذين يحاولون الاستقرار في بلد جديد إلى دعم إنساني ونفسي على غرار ما يحصل عليه من يقررون البقاء في المناطق المشاركة في القتال.

يفسح هذا العدد من مجلة «الإنساني» المجال أمام أدباء وشعراء عاشوا ظروف الحرب بصورة أو بأخرى، فتركت الأهوال والمعاناة التي مروا بها أثرًا على قصصهم وقصائدهم.

ويسلط العدد الحالي أيضًا الضوء على ظروف اللاجئين السوريين في لبنان، لا سيما ما يخص الرعاية الطبية التي يحتاجون إليها بصورة عاجلة ولم يتمكنوا غالبًا من الحصول عليها في وطنهم بسبب القتال. فقد شهدت سورية نفسها مقتل خمسة من متطوعي الهلال الأحمر العربي السوري خلال الشهور الماضية، واستُهدفَت العديد من المركبات التابعة له، مما جعل من المستحيل أحيانًا تقديم المساعدات في بعض المناطق. هنا تكمن أهمية حماية الخدمات الطبية في أوقات الحرب واحترام شارتي الصليب الأحمر والهلال الأحمر في كافة الأوقات. إذ يخاطر عشرات الآلاف من متطوعي الصليب الأحمر والهلال الأحمر في سورية والعالم بأسره بحياتهم في كل يوم لتقديم المساعدة لمن يحتاجونها، دون سعي لنيل مكافأة مالية أو تحقيق مجد شخصي.

هؤلاء المتطوعون جديرون بكل احترام وحماية إذ يؤدون عملاً مجتمعيًا ذا قيمة كبيرة لا يقتصر على أوقات الحرب فحسب. وهو ما ترويه في هذا العدد قصة متطوعي الصليب الأحمر في الفلبين الذين قرروا مساعدة مجتمعاتهم عن طريق زراعة أشجار «المانغروف» لحمايتها من الفيضانات الموسمية. ستقرأون قصتهم المفعمة بالأمل والتفاؤل حول قدرة الإنسان على البناء ونشر الخير في خضم بحور من الكوارث الطبيعية والمآسي التي قد يسببها الإنسان نفسه.

«الإنساني»

الإنساني

تصدر كل ثلاثة شهور عن
اللجنة الدولية للصليب الأحمر

رئيس التحرير زينب غصن
مدير التحرير ياسر الزيات
المستشار القانوني د. عامر الزمالي
مستشار التحرير محمد بن أحمد

المراسلات : 33 شارع 106 حدائق المعادي، القاهرة 11431، مصر
هاتف : 25281540/25281541 فاكس : 25281566
البريد الإلكتروني: cai_csc@icrc.org
الموقع الإلكتروني: www.icrc.org/ara

الآراء الواردة بهذه المطبوعة لا تعبر إلا عن وجهة نظر أصحابها

الإشراف الفني أحمد اللباد

ICRC

اللجنة الدولية للصليب الأحمر منظمة مستقلة محايدة، أنشئت عام 1863. مهمتها إنسانية بحتة، تتمثل في حماية أرواح ضحايا الحرب وكرامتهم وتقديم المساعدة لهم. تقوم اللجنة بتوجيه وتنسيق أنشطة الإغاثة التي تنفذها الحركة الدولية للصليب والهلال الأحمر. وتعمل على ترويج وتدعيم القانون والمبادئ الإنسانية العالمية.

Cynthia Lee / ICRC

فتى يشرب المياه من أنبوب لمركز شرطة محطم في العراق. لا تزال أزمة المياه تشكل عائقا أمام حصول العراقيين على مستوى جيد من الحياة

54

ربيع/ صيف 2012

REUTERS

أشجار تواجه الريح لإنقاذ «أمنا الأرض» ..... سينثيا لي 05

لبنان: تلبية الاحتياجات الطبية للجرحى السوريين..... سمر القاضي 09

تراجيديا الانتظار ..... أحد كودرزياني 12

مهمة إنسانية في قلب الصحراء ..... فؤاد بوابة 14

الأسلحة والذخائر ليست مجرد شكل آخر ..... كريستين بيرلي 16

التحديات التي تواجه الرعاية الصحية:
من الأمن الغائب إلى أخلاقيات الممارسة .....زينب غصن 18

عن عرفة الذي فقد حياته في سبيل الآخرين ..... راما ربيع حميد 21

أزمة المياه في الشرق الأوسط: طريق إلى الحرب أم إلى السلام؟ ... ميشال تلحمي 22

مشاكل البيئة في العراق والحلول المؤجلة ..... حيدر نجم 24

المهمة الأولى كالحب الأول ..... يانس–مارتن مهلر 26

تحديات ومخاطر تواجه "فرسان" الرعاية الصحية 28

قرن من التميز في مجال التمريض..... 30

العراق: إعانة النساء على بناء مستقبلهن 32

الملف: عزيزي الأديب: إنها الحرب 33

أناشيد ومدائح من مصر القديمة ..... وهيبة صالح 34

الأدب في مواجهة الحرب: أحياء إلى الأبد ..... مهدي يزداني خرم 36

الحروب أكلت ثلاثة أرباع أحلامنا ..... حسن عبد الحميد 39

الحرب والأدب في مصر: من يوميات الكهف إلى يوميات الأسر ..... مكاوي سعيد 40

أزمة حيادية الأدب في زمن الحرب ..... سركوت حمه حسين 42

أسطورة المحارب: حياة متجددة..وقوة لا تنفد 44

لا مبررات للقتل 48

القانون الدولي الإنساني في ألعاب الفيديو 49

العمل الإنساني 2.0 : إنقاذ الأرواح بالإنترنت 50

بلا رتوش: هل تحمل سلاحًا؟ نعم، أحمل قلمًا ..... عبد القادر كلهور 52

شعر: محاولة ضد الموت ..... عمر شبلي 54

من أركان العالم 55

على الشاطئ مع متطوعي المانغروف في الفلبين:

أشجار تواجه الريح لإنقاذ «أمنا الأرض»

في يوم المتطوع، الذي يوافق الثامن من أيار/ مايو، عاشت «الإنساني» تجربة فريدة مع فتيات وشبان في قرية فلبينية على الساحل، اختاروا العمل التطوعي لزراعة أشجار المانغروف طريقًا لحماية بيئتهم من الرياح والأعاصير. وكما لا يتوقف العمل التطوعي على يوم في السنة، كذلك لا تتوقف حماية الأرض على يوم الأرض الذي يوافق الثاني والعشرين من نيسان/ أبريل. فالتطوع وحماية البيئة قيمتان إنسانيتان دائمتان، وهذا ما تثبته تلك التجربة.

Cynthia Lee / ICRC

مع كل خطوة يخطوانها داخل مياه البحر الذي تطل عليه قريتهما، تتشكل دوائر في المياه حول أرجلهما. هما تلميذان يدرسان في المدرسة الثانوية، هي اسمها **أريانا راغا** ويُطلق عليها **الأيرلندية**، وهو اسمه **هارون راشد مادجين**. تراهما يقفان وسط المياه الضحلة الدافئة ويفحصان بلطف بعض شتلات لأشجار **المانغروف** التي زرعها، مثلهما، متطوعو الصليب الأحمر الفلبيني خلال الأشهر القليلة الماضية، في هذه المنطقة الساحلية من مقاطعة **كومبستيلا فالي** في جنوب الفلبين.

واليوم، تتناهى إلى أسماعنا ضحكات مرحة وثرثرة عشرين من شباب الصليب الأحمر الفلبيني وبعض أطفال القرية من بين الأشجار الصغيرة والكبيرة. وفي ظل هذه الأجواء الحماسية التي لا يخلقها سوى الشباب، نجحوا بمنتهى السرعة والفعالية في زراعة 300 شتلة قبيل القدوم الوشيك للمد البحري.

يسحق **مادجين والأيرلندية** (هكذا يسميهما الجميع) الرمال والطمي بين أيديهما، ثم يحفران حفرًا في العمق المناسب لزراعة الشتلات وتثبيتها في الأرض. وهما يتعاملان مع النبات بحرص شديد مع إيلائه الاحترام الواجب الذي يعكس مشاعر المجتمع المحلي الحالية تجاه أشجار **المانغروف**.

بدأت زراعة أشجار **المانغروف** للمرة الأولى في المنطقة منذ عشرين عامًا من خلال مبادرة أطلقتها الحكومة، إلا أن الناس لم تكن تعي دائمًا قيمتها الفعلية، وكانت تتعرض للقطع لتستخدم كحطب أو كمواد للبناء. لكن جهود التوعية المبذولة لم تذهب هباءً، وبات سكان البلدات الصغيرة المجاورة: **ماليبايون** (أو «المكان السعيد» بلغة **سبيانو**) و«**ماكي – أنجايون**» (أو «المواءمة») الإشادة بمنافع هذه الأشجار. فهم يشعرون بالامتنان الخاص لأنها تحمي السواحل من التآكل وقسوة الأحوال الجوية التي تتعرض لها المنطقة المحيطة بين الحين والآخر. فالإعصار الأخير الذي وقع في آذار/ مارس الماضي دمر عشرة منازل وألحق أضرارًا بعشرات المنازل الأخرى.

يقول **مانونج دودو سوارز**، وهو صياد مسن كان في طليعة مؤيدي زراعة أشجار **المانغروف** في بلدته: «**نشعر بالامتنان الشديد لأننا لم نتأثر أبدًا بالرياح العاتية منذ زراعة أشجار المانغروف التي تقف أمامها كالحواجز. ونقارن ذلك بما حدث في مناطق أخرى ضربتها الرياح بشكل مباشر**».

مانونج لا يقف في صفوف المتفرجين بل يمد يده لشباب الصليب

متطوعون يغرسون أشجار مانغروف لحماية البيئة

سينثيا لي*

الأحمر اليوم لزراعة الأشجار استمرارًا لمشروع الصليب الأحمر الفلبيني الذي يرنو إلى غرس ما يزيد على 10 آلاف فسيلة خلال عام على طول شاطئ بلدته وتعزيز إدارة أشجار **المانغروف** والعمل التطوعي. نجده يقول والابتسامة لا تفارق وجهه: «**أنا سعيد لأن الصغار يشاركون أيضًا في الأنشطة المتعلقة بأشجار المانغروف**».

"العمل التطوعي متعة"

تعلمت **الأيرلندية** ذات الخمسة عشر ربيعًا "**حب الطبيعة الأم**" من والدها الذي يعمل لدى الوكالة الوطنية المعنية بالبيئة والموارد الطبيعية. ولديها شواغل إزاء تأثير تغيّر المناخ على مجتمعها إلا أن النطاق الكبير لهذه المسألة لم يثبط عزيمتها قيد أنملة، نسمعها تقول بكل تأكيد وإصرار: "**إنها مشكلة كبيرة، ولكن لماذا لا نتحرك؟**". وتضيف: "**معًا يمكننا أن نقف سويًا وننقذ أمنا الأرض، فلم لا؟**".

بالرغم من أن ذلك هو مصدر الإلهام الرئيسي بالنسبة لها حتى تتطوع في الصليب الأحمر الفلبيني، المعروف باستجابته الإنسانية للكوارث الطبيعية مثل الأعاصير التي كثيرًا ما تضرب البلاد، إلا أن هناك أسبابًا أخرى. ففي سن الحادية عشرة، كانت **الأيرلندية** تقرأ عن كيف أصبحت ممثلة فلبينية شهيرة متطوعة في الصليب الأحمر طوال حياتها –منذ أن كانت في نفس عمرها– وشاركت في حملات الصليب الأحمر للتبرع بالدم وما صادفته من مواقف كان فيها إنقاذ لأرواح كثيرة. تقول بحماسها المعتاد: "**كانت لدي قناعة تامة. وسألت نفسي: لماذا لا أحذو حذوها؟ فالعمل التطوعي متعة في حد ذاته. ولا أقوم به من أجلي فقط بل من أجل المجتمع الذي أعيش فيه**".

كان إعصار آذار/ مارس الذي ضرب قريتها أول تجربة لها من هذا النوع. تعود بذاكرتها للوراء لتصفه: "**كان مخيفًا، كانت الرياح عاتية والأمطار تنهمر بغزارة وصوت الرعد يصم الآذان وساد الظلام قبل ساعات من غروب الشمس**". وتضيف: "**هناك أضرار بالغة لحقت ببيت عمي مما جعلني أفكر أكثر بأنه علينا فعل شيء**".

"كل شيء ممكن"

يسير **مادجين** مرتين في الأسبوع على طول الشاطئ ليرصد أحوال أشجار **المانغروف**. فهو يرعاها بعناية فائقة وأحيانًا يتعامل معها كأنها مريض حالته الصحية حرجة. «**أحيانًا يتصل بي قائلا: «توجد إصابات»**»، تقول **راندي لوي** المسؤولة الإدارية في فرع الصليب الأحمر الفلبيني في المنطقة، والتي تنظر بانبهار إلى تفاني الفتى ذي السبعة عشر ربيعًا، وهو معلم لغة إنكليزية طموح.

لم يكن **مادجين** يتصور أنه سيقوم في يوم من الأيام بهذا العمل تحديدًا، عندما أصبح أحد الأعضاء الشباب في الصليب الأحمر منذ تسعة أشهر مضت إلا أن حماسه لم يكن ليمنعه أيضًا من القيام بهذا العمل. وعن قراره هذا، يقول: «**كان هذا الأمر موضع نقاش بيني وبين أصدقائي**». وأخذ يشرح أن قراره جاء بعد الجلسة التعريفية التي أعدها في مدرسته فرع الصليب الأحمر في المنطقة، وشرح خلالها مسألة الحد من المخاطر الناجمة عن الكوارث، وقدم عرضًا لعمل المنظمة. وأردف قائلاً: «**حينئذ قلت لنفسي إن كل شيء يمكن أن يحدث عندما ننضم إلى الصليب الأحمر**».

يرى **مادجين** أنه يحصل على مكافأته بمجرد شعوره بأنه يساعد الآخرين. وعن دوافعه للخوض في العمل التطوعي يقول: «**أشعر بالسعادة وأنا أزرع من أجل الغير، وليس فقط من أجل نفسي. لا أعرفهم جميعًا لكني أرغب في مساعدتهم**». •••

20 من شباب الصليب الأحمر الفلبيني يواجهون الأعاصير بأسوار من الأشجار

كان الناس يقطعون الأشجار لاستخدامها حطبًا أو مواد بناء لكنهم أصبحوا أكثر وعيًا بأهميتها

* Cynthia Lee منسّقة الإعلام في بعثة اللجنة الدولية في مانيلا.

ICRC

غابة من الأشجار على الشاطئ

ICRC

يلعب **مادجين** دورًا رئيسيًا، فهو يعد همزة الوصل بين مجتمعه وفرع يتولى مشروع زراعة أشجار **المانغروف** انطلق رسميًا في يوم الأرض، (22 نيسان/ أبريل)، وجرى في إطاره زراعة 7000 شتلة تستفيد منها 100 أسرة تعيش في هاتين المنطقتين. وتأتي الدورات الخاصة بالحد من مخاطر الكوارث- كالتي أوحت إلى **مادجين** بالدخول إلى عالم التطوع – لتستكمل هذا المشروع، إذ شارك فيها، في وقت سابق من هذا العام، ما يقرب من 7000 شخص بين تلميذ ومدرس ومدير مدرسة.

تعد الدورات الخاصة بالحد من مخاطر الكوارث استكمالاً للمشروع

من جيل إلى جيل

تجل المجتمعات المحلية أشجار **المانغروف** لأن وجودها يوفر أرضًا خصبة للأسماك والمحار مما يزيد من الغذاء المتوافر للسكان المحليين. تشرح **كريستيتا غارسيا**، وهي أم لخمسة أطفال من **ماليبايون** ذلك: "**لديهم الآن شيء إضافي في حال عدم توافر ما يكفي للطعام**".

قبل سنوات طويلة، أدخلها والدها إلى عالم أشجار **المانغروف** التي زرعها بنفسه. تقول: "**علمني أبي منذ صغري كيفية الاعتناء بأشجار المانغروف**". وهو علم تنقله بدورها إلى أولادها. واليوم يساعد ثلاثة منهم في عمليات الغرس التي تجرى حاليًا.

ويبدو أن الرسالة حظيت بقبول حسن، فابنها **أركريستيان**، ذو الأحد عشر عامًا، يقترح على استحياء "**عدم اقتلاع أشجار المانغروف**".

ويعتبر دخول الشباب إلى عالم التطوع من بين الفوائد الكبيرة التي تعود على مشروع زراعة أشجار **المانغروف**، على حد قول **راندي أوبسيان** رئيس السلطة المحلية للقرية. يقول **راندي**، بينما يقف وسط أشجار **المانغروف** الشامخة وضحكات الشباب: "**هذا هو مشروع المستقبل. إنه استعراض للحب ليس فقط على مستوى جيل الشباب ولكن على مستوى المجتمع المحلي ككل**" ■

لبنان: تلبية الاحتياجات الطبية للجرحى السوريين

سمر القاضي*

لم يقتصر تأثير الأزمة المستمرة منذ عام في سورية على أعداد كبيرة من السكان داخل البلد، بل امتد أيضًا إلى دول مجاورة استقر بها آلاف اللاجئين السوريين، وطلب عدة مئات منهم الحصول على مساعدات طبية. ولبنان من تلك الدول، حيث يستضيف أكثر من 20 ألف لاجئ، وأضحت مستشفياته مقصدًا رئيسًا للجرحى السوريين.

مع وصول أولى دفعات الجرحى واللاجئين السوريين إلى شمال لبنان في أيار/ مايو 2011، بادر الصليب الأحمر اللبناني، مدعومًا في ذلك من اللجنة الدولية للصليب الأحمر، والاتحاد الدولي لجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر وعدد من الجمعيات الوطنية كالصليب الأحمر الهولندي، بالتعامل مع القضية الإنسانية الناشئة. ولما كان للصليب الأحمر اللبناني تاريخ طويل في مساعدة الأشخاص خلال خمسة عشر عامًا من النزاع الداخلي في لبنان وعدة حروب مع إسرائيل، فإنه كان بصدد مواجهة تحدٍ جديد، وهو كفالة عمليات الإجلاء الطبي للجرحى السوريين الذين يصلون إلى لبنان وتقديم المساعدات للاجئين.

وهناك صعوبات عديدة تكتنف عمليات الإجلاء التي يجري تنفيذها بدعم وتنسيق من اللجنة الدولية. يقول **طلال إسكندر**، رئيس "**مركز أوميغا**"، المُنشأ حديثًا، والتابع لخدمات الطوارئ الطبية للصليب الأحمر اللبناني في منطقة **البقاع**، شرق لبنان: "**ثمة تحدٍ رئيسي هو المخاطر الأمنية التي لا يمكن توقعها والتي تحدث في المرحلة الأولى من عملية الإجلاء في منطقة الحدود التي يتم نقل الجرحى منها**". ويوضح **إسكندر** أن ضعف الأمن على الحدود يؤدي في بعض الحالات إلى تعرض فرق الإجلاء إلى مخاطر نتيجة لتساقط طلقات الرصاص بالقرب من سيارات الإسعاف. وأضاف أن "**هذه المواقف تستلزم اتخاذ قرارات فورية، مثل تغيير مسار سيارات الإسعاف نتيجة لتغيير نقطة الإخلاء وتنفيذ عملية النقل بشكل سريع قبل تقديم الإسعافات الأولية**".

ويشترك مركز أوميغا مدعمًا من المراكز الأخرى في **البقاع** و**الهرمل** و**بعلبك** وبعض مراكز **جبل لبنان** إضافة إلى مراكز خدمات الطوارئ الطبية في شمال لبنان في تنفيذ عمليات نقل الجرحى من منطقة **مشاريع القاع** على الحدود اللبنانية–السورية الشرقية إلى المستشفيات الشمالية.

أُنشئ **مركز أوميغا** في كانون الثاني/ يناير 2012، وتساهم اللجنة الدولية بجزء هام من تمويله، وهو يعمل على الإجلاء السريع للجرحى الذين يصلون إلى الأراضي اللبنانية. وكان قرب الموقع وسهولة الوصول إلى منطقة الحدود هو ما دفع إلى اختيار مكان المركز الجديد. يضيف **إسكندر**، وهو متطوع بمركز خدمات الطوارئ الطبية منذ أكثر من عشرين عامًا: "**قبل إنشاء أوميغا، كانت عمليات الإجلاء من مشاريع القاع تتم من قبل مركز خدمات الطوارئ الطبية في مدينة الهرمل المجاورة، والتي تعتبر بعيدة قليلا**". أما الآن فيتم إبلاغ اللجنة الدولية وغرفة عمليات مركز خدمات الطوارئ الطبية للصليب الأحمر اللبناني بوصول الجرحى إلى لبنان، ويجري التنسيق اللازم مع السلطات اللبنانية والمجتمع المحلي خلال عملية الإجلاء ونقل الجرحى.

يتولى تشغيل **أوميغا** عشرة متطوعين من الصليب الأحمر اللبناني، يتناوبون العمل على مدار 24 ساعة. ويعمل في كل مناوبة خمسة متطوعين •••

REUTERS

* مسؤولة الإعلام والنشر في بعثة اللجنة الدولية في بيروت

ينقسمون إلى فريقين. والمركز مزود أيضًا بسيارتي إسعاف تدعمها أربع سيارات إسعاف في المراكز المحيطة تبقى على أهبة الاستعداد لضمان تنفيذ العمليات على مدار الساعة.

ونقص الأمن ليس هو الخطر الوحيد الذي يواجه متطوعي أوميغا، فطول المسافة والطرق غير الممهدة والظروف الجوية السيئة التي شهدها لبنان في الشتاء، كانت كلها تمثل تحديات إضافية. يقول **إسكندر**: "**يستغرق نقل الجرحى إلى المستشفيات مدة تصل إلى أربع ساعات،** وربما أكثر، **نتيجة للطرق الوعرة والجبلية، التي تعاني من ظروف شديدة السوء، بالإضافة إلى الطقس السيئ أحيانا**". فالطريق المختصر لا يكون متاحًا إلا في فصل الصيف عند ذوبان الثلوج، مما يقلل المسافة والوقت المطلوبين لإتمام عملية النقل بمعدل النصف. أما اليوم فيتم الإخلاء إلى **البقاع** بعد أن قامت اللجنة الدولية بتغطية الاستشفاء في عدد من مستشفيات **البقاع**.

تتضمن عملية الإجلاء تناوب سيارات الإسعاف بين منطقة **البقاع** والشمال. يقول **يوسف بطرس**، رئيس عمليات مركز خدمات الطوارئ الطبية في شمال لبنان: "**تقوم سيارات الإسعاف الموجودة بأقرب مركز لخدمات الطوارئ الطبية في شمال لبنان بنقل الجرحى من نقطة تبديل تقع في منتصف الطريق إلى المستشفيات في طرابلس**". ونجح الصليب الأحمر اللبناني في إجلاء أكثر من 500 جريح سوري منذ أيلول/ سبتمبر 2011، أغلبهم من خلال سلسلة النقل والتناوب بين منطقة **البقاع** وشمال لبنان.

تحديات أمام الأطباء

منذ بداية تدفق السوريين الفارِّين من العنف في بلادهم في أيار/ مايو من العام الماضي، أنشأ الصليب الأحمر اللبناني في شمال لبنان مراكز ميدانية لخدمات الطوارئ الطبية تعمل على مدار 24 ساعة لتقديم مساعدات طبية عاجلة. يقول **بطرس**، وهو متطوع منذ ثلاثة وعشرين عامًا: "**خصصنا خمس سيارات إسعاف وضعت في حال تأهب في خمسة مواقع مختلفة بالقرب من الحدود، حيث يصل اللاجئون والجرحى، وذلك بغرض تيسير عمليات النقل إلى أقرب مستشفى**". ومع إغلاق الحدود الشمالية، انخفض عدد الجرحى واللاجئين الذين يصلون إلى شمال لبنان. لذلك، ومنذ تشرين الثاني/ نوفمبر، وصل 95٪ من الجرحى إلى منطقة **مشاريع القاع** وتم نقلهم إلى الشمال من خلال سلسلة النقل والتناوب. وأضاف **بطرس**: "**ومع ذلك، ننفذ عمليات يومية لخدمة اللاجئين السوريين منها نقل حالات طارئة وباردة، بالإضافة إلى الجرحى الذين ننقلهم من مستشفى إلى آخر**". وتم إنشاء مركز مؤقت لخدمات الطوارئ الطبية في شهر أيار/ مايو بالقرب من الحدود الشمالية مع سوريا، على غرار مركز أوميغا في **البقاع**، لتلبية الاحتياجات المتزايدة للسكان السوريين النازحين الذين يدخلون عبر "**وادي خالد**". ويقول **بطرس**: "**المركز يعمل على مدار 24 ساعة من خلال فريقين يضمان خمسة متطوعين وسيارتي إسعاف في وضع الاستعداد**".

يعد مستشفى **طرابلس** الحكومي المرفق الطبي الرئيسي الذي يعالج الجرحى السوريين، حيث يعالج أكثر من 90٪ من الحالات، بجانب عدة مستشفيات أخرى خاصة أو خيرية في **طرابلس**. وتعد الجروح المتقيحة والملتهبة من التحديات الرئيسية التي تواجه الكوادر الطبية المعنية بمعالجة الجرحى السوريين. ويوضح كبير الجراحين، الدكتور **وسام درويش** أن "**أغلب الإصابات تعاني من جروح متقيحة بصورة خطيرة عند وصولها إلى المستشفى**". وأضاف: إن الجروح الناجمة عن الأسلحة النارية هي جروح ملوثة ويؤدي التأخير الطويل لعمليات النقل إلى المستشفيات، التي تستغرق أحيانًا 12 يومًا بعد وقوع الإصابة، إلى تفاقم الحالة بشكل أكبر، مشيرًا إلى أن تقيح الجروح يحدث خلال الساعات الست الأولى. وأضاف أن الحالات تكون قد تضاعفت بالفعل عند وصولها إلى المستشفى.

ومن الصعوبات الأخرى التي يواجهها الجراحون في لبنان عدم وجود أي تاريخ مرضي للحالات أو أي ملف طبي يوضح نوع الإصابة والعلاج المقدم في الميدان (داخل سوريا): "**ما نجده هو جروح مليئة بالصديد والجراثيم وعلينا التعامل معها**"، يقول الدكتور **درويش**، موضحًا أن بعض هذه الجراثيم التي نقلها المصابون لم تكن معروفة في المستشفيات اللبنانية من قبل، مما دفع المستشفى إلى إجراء

REUTERS

REUTERS

الجروح المتقيحة والملتهبة من التحديات الرئيسية التي تواجه الكوادر الطبية

معالجون من الصليب الأحمر اللبناني يحاولون إنقاذ طفل سوري

هناك مخاوف من تدفق أعداد أكبر من الجرحى في حالة زيادة العنف في سورية

تحليل تلقائي وزرع لأنسجة الجروح يليه تقديم مضادات حيوية ملائمة.

يقول الدكتور **سامر كبارة**، رئيس اللجنة الطبية بالمستشفى الحكومي **بطرابلس**: "**المرفق امتلأ عن بكرة أبيه بالجرحى السوريين خلال الشهور القليلة الماضية**". وأضاف أن "**هناك طابقًا كاملًا مخصصًا للجرحى السوريين دون غيرهم**"، وأنه في حالات كثيرة "**أودع جرحى في أقسام أخرى مثل قسم الأطفال والنساء وجراحات اليوم الواحد نظرًا لنقص الأماكن**".

وفي الشهور الأخيرة، لم يكن عدد السوريين الموجودين بالمستشفيات في شمال لبنان يقل بأي حال من الأحوال عن 150 جريحًا. وعقب إجراء الجراحات بالمستشفى الحكومي، يتم نقل المرضى إلى مرافق طبية أخرى في **طرابلس**، منها مستشفى **الزهراء الإسلامي الخيري** لتلقي العلاج اللاحق للعمليات الجراحية. وأضاف **كبارة** أن المرضى "**يتم صرفهم من مستشفى طرابلس الحكومي بمجرد أن تسمح حالاتهم لتوفير أماكن لمصابين جدد**". وأوضح أن "**عملية نقل المرضى إلى أماكن للنقاهة قد تتم بعد الجراحة بعدة أيام أو عدة أسابيع،بحسب الحالة**".

ويعد تكدس المرضى السوريين في فترة النقاهة من التحديات التي تواجه **مستشفى الزهراء** الذي تحوَّل إلى مركز لتقديم الرعاية اللاحقة للعمليات الجراحية والعلاج الفيزيائي للمرضى السوريين. وتصل القدرة الاستيعابية المبدئية للمستشفى إلى 35 سريرًا، إلا أنه يخدم حاليًا أكثر من 60 مريضًا نتيجة لتدفق المصابين السوريين. ويقول الدكتور **نهاد مراد**، المدير الطبي: "**في إحدى المرات اضطررنا لوضع 70 مريضًا عن طريق إضافة أسرَّة في الغرف وتشغيل كوادر طبية إضافية لفترات عمل أطول**". ومؤكدًا على أهمية الرعاية اللاحقة للعمليات الجراحية، يضيف الدكتور **مراد**: "**المرضى تكون حالتهم شديدة الحساسية عندما يصلون إلى المستشفى ويكونون في حاجة إلى علاج مناسب عقب الجراحة لمنع الانتكاسة أو تقيح الجروح من جديد**". ولا تقل فترة النقاهة عن 14 يومًا، وقد تمتد إلى شهرين، خاصة عندما يكون العلاج الفيزيائي أمرًا لابد منه.

ومع عدم وجود بوادر تلوح في الأفق لانفراج الأزمة السورية، من المتوقع أن يواصل الجرحى السوريون التدفق على لبنان طلبًا للعلاج الطبي. وهناك مخاوف من تدفق أعداد أكبر من الجرحى في حالة تصاعد العنف في سورية المجاورة للبنان. ويؤكد **بطرس**، المتطوع بمركز خدمات الطوارئ الطبية، أن عزم المتطوعين في الصليب الأحمر اللبناني على مساعدة الجرحى لا يلين، فيقول: "**لا نشعر بالكلل، وسنواصل تقديم المساعدة لمن يحتاجونها....**" ■

ICRC

مراسم تشييع جثمان جندي تم العثور عليه

بدأت الحرب بين إيران والعراق في العام 1980 وانتهت في العام 1988. وبالرغم من مضى 24 عامًا تقريبًا على انتهائها إلا أن البحث لا يزال مستمرًا عن المفقودين فيها من الطرفين.

تراجيديا الانتظار

بعد انتهاء الحرب تنتعش الآمال في العثور على المفقودين

وضع نهاية للانتظار الطويل هو حلم يراود كل من يترقب الحصول على أخبار فرد مفقود من أفراد أسرته، مقاتلا أو محاربًا انقطعت أخباره في ساحة المعركة، فجميع الاحتمالات تقفز إلى الأذهان، ويبرز الخيط الرفيع بين الحياة والموت، بين أن تكون أو لا تكون.

حتى خلال السنوات الأولى بعد أفول الحرب، تحدوك آمال عريضة في أن تحدث المعجزة، وأن يكون المقاتل المفقود على قيد الحياة. إلا أن شعلة الأمل تذوي شيئًا فشيئًا مع إطلاق سراح الأسرى، وتبدو احتمالات النجاة باهتة. ومن ثم يصبح واضحًا أنه لا بد من بدء البحث عن الشخص المفقود في ساحة المعركة، في قلب السهول والحصون وفوق التلال والمرتفعات وفي القنوات، وفي أي مكان يمكن أن يحمل آثار وطء أقدام.

وبعد ذلك يحين وقت البحث، البحث للكشف عن مصير المفقودين. وتستمر عجلة الحياة في دورانها، ويتعين على المرء أن يتحلى بالصبر مع أولئك الذين ينتظرون أخبارًا عن أقاربهم المفقودين، آملين أن تهب الرياح لتزيل غبار الزمان والمكان، كاشفة ربما عن مصير جندي آخر.

عليهم التذرع بالإيمان بأن من فقدوا أثره ما زال شاخصًا في الأذهان بالرغم من انقضاء الحرب منذ سنوات عدة.

هذا التفاني في تقديم المساعدة والتمسك بالإيمان هو ما دفع البلدان المنخرطة في النزاع واللجنة الدولية إلى عقد جلسات متتالية والخروج إلى ساحات المعارك السابقة. ويصح الشيء نفسه بالنسبة لإيران والعراق، إذ تواصل البحث برغم ما طرأ من تقلبات، وتسارعت وتيرته تمامًا كما تتسارع نبضات قلب الابن أو الابنة، وقلب الأم أو الأب، إلى أن يجري إغلاق فاصل من الانتظار الطويل، حتى وإن كان ذلك أمام شاهد قبر جندي ووري جثمانه الثرى، فإحياء الذكرى يخفف من حدة الألم.

بدأت الحرب بين إيران والعراق في العام 1980 وانتهت في العام 1988. وبالرغم من مضى 32 عامًا على اندلاعها و24 عامًا تقريبًا على أفولها، لا يزال البحث عن المفقودين فيها مستمرًا، بالنسبة للطرفين. هذه هي الحال عند اندلاع أي حرب، حيث تقوم الأطراف بمساعدة اللجنة الدولية بمتابعة هذه المسألة المحددة بشكل جدي فور توقف صوت المدافع.

وفي إطار الجهود الأخيرة المبذولة، أبرمت السلطات العراقية عن طريق وزارة حقوق الإنسان والسلطات الإيرانية واللجنة الدولية اتفاقًا ثلاثيًا في العام 2008 يهدف إلى الكشف عن مصير المفقودين بسبب الحرب. ونجحت الآلية الثلاثية منذ إنشائها في العام 2008 في الكشف عن مصير ما يقرب من 2500 مفقود وإعادة رفات 446 شخصًا من الجانبين إلى وطنهم.

وفي الفترة بين كانون الثاني/ يناير وأيار/ مايو 2012، أرسلت ثلاث مهام مشتركة للبحث والاستخراج بدعم من اللجنة الدولية إلى منطقة شبه جزيرة **الفاو** في جنوب العراق، وعملت آخرها منذ 15 نيسان/ أبريل إلى 15 أيار/ مايو.

وقال الممثل الخاص للجنة الدولية في العراق سابقًا **ديكا دوليتش**: «**السلطات العراقية، ممثلة في وزارة حقوق الإنسان، والسلطات الإيرانية استعادت الرفات البشرية من خلال التعاون الوثيق وبهدف تمكين الأسر من معرفة مصير أقاربها المفقودين والترحم عليهم**».

وقالت منسقة أنشطة الحماية في اللجنة الدولية في **طهران جوانا تريندات** إن ممثلين من كلا البلدين أكدوا على التزامهما «**بمواصلة البحث وإرسال مهام للبحث والاستخراج ونحن سنخطط لإرسال مهام مشتركة مماثلة خلال الأشهر المقبلة**».

وأكد مدير الفرع المعني بتبادل أسرى الحرب في **البصرة حسين عيدي** أن: «**الأنشطة مستمرة في منطقة بحيرة الملح في ميناء الفاو في العراق والمعروفة باسم «مملحة»**».

تعود **رانيا مشلب** المنسقة السابقة لشؤون الحماية في اللجنة الدولية في **طهران** بذاكرتها للوراء وقد شهدت هذه الجهود، قائلة: «**في أوائل العام 2012، كنا في شبه جزيرة الفاو، حيث كانت فرق البحث والاستخراج من إيران والعراق قد بدأت عملها، ولن أنسى طوال حياتي أول قطعة عظم جرى العثور عليها، ولا المشاعر المتضاربة التي اجتاحتنا جميعًا، وكيف كنا سعداء بالرغم من ذلك. فقطعة العظم التي عثرنا عليها هي لشخص فقد حياته منذ أكثر من عشرين عامًا، وها نحن نمسك بأيدينا ثمرة سنوات طويلة من البحث عنه**».

وفي بداية فصل الربيع، وتحديدًا يوم 4 نيسان/ أبريل، أجريت العملية الثالثة عشرة لإعادة الرفات البشرية تحت رعاية اللجنة الدولية بحضور ممثلين عن الجانبين الإيراني والعراقي. وجدير بالذكر أنه منذ عام 1998، جرى تبادل 435 مجموعة من الرفات البشرية العراقية و143 مجموعة من الرفات البشرية الإيرانية ■

أحد كودرزياني*

ICRC

العثور على المفقودين ينهي مأساة الانتظار

رانيا مشلب: لن أنسى أول قطعة عظم عثرنا عليها في الفاو

* Ahad Khodarziani صحافي إيراني

فرق البحث عن المفقودين أثناء عملها تحت شمس الكويت اللاهبة

ICRC

جرافات تفتش عن مفقودين في صحراء الكويت

الخبراء يدققون في كل كبيرة وصغيرة بحثًا عن دليل

مهمة إنسانية في قلب الصحراء:

* مسؤول الإعلام والنشر في بعثة اللجنة الدولية الإقليمية لدول مجلس التعاون الخليجي- الكويت

فؤاد بوابة*

ICRC

ICRC

ICRC

«أعيدوهم ولو في أكفان»

ثلاثة أيام من الحفر، بناءً على إحداثيات تكنولوجية، في مكان ما من الصحراء على الأراضي الكويتية المحاذية للحدود مع العراق.

آليات ثقيلة لا تعرف الكلل، ولا يقف في وجهها عائق، منها ما يجرف كل ما هو فوق سطح الأرض بقسوة ليفتح الطريق أمام الأخرى التي تدكّ الأرض، بلا رحمة، بشوكها الفولاذي الصلب مستخرجة الرمال الهائلة بحثًا عن دليل يقودنا إلى من فقدوا منذ حرب الخليج الثانية، ودفنوا في مكان ما تحت التراب.

فرق متخصصة من الطب الشرعي، وخبراء في مسارح الجريمة، والأدلّة الجنائية، ومندوبون عن اللجنة الوطنية لشؤون الأسرى والمفقودين، والنيابة العامة في الكويت، واللجنة الدولية للصليب الأحمر، وغيرها من الجهات ذات الاهتمام، تجوب المكان، وتعمل بجدّ ودأب من السادسة صباحًا إلى الخامسة مساءً.

الشمس ساطعة، وحرارة نيسان/ أبريل لاهبة، والغبار يهب من كل مكان. وفي ظل كل هذه الظروف الصعبة، كانت العيون شاخصة، والحركة لا تهدأ، وهدير الآليات، الذي يكاد لا يتوقف، يكسر كل صمت. خبراء يتجولون في المكان، مدققين في كل صغيرة وكبيرة يمكن أن تكون دليلًا على المكان الذي من المحتمل أن يكون قد دُفن فيه أشخاص منذ أكثر من عشرين عامًا.

أكثر من 150 حفرة بطول تقريبي يتراوح ما بين 3و6 أمتار لكلٍ منها، تم حفرها على مدار الأيام الثلاثة. وفي كل منها، كانت الفرق تدقّق، تبحث، تراقب، تحلّل، وتجمع كل ما يمكن أن يدلّ على أن هناك شيئا ما. لم يُغفلوا شيئًا: المعدن، القماش، البلاستيك، الجلد، المعلبات، الأنابيب.... إلخ، فما يبحثون عنه أثمن بكثير من كل ما هو موجود على هذه المعمورة: إنه الإنسان.

كانت هذه المرة الأولى لي التي أذهب فيها إلى مهمة من هذا النوع. كان لديّ شعور غامر بالسعادة لكوني ربما أكون للمرة الأولى أحد الذين عملوا شيئًا ما، على ضآلته، لتخفيف محنة بعض العائلات التي صبرت أكثر من عشرين عامًا على فراق أحبةٍ لا تعرف أين هم، فوق التراب أم تحت التراب، أحياء أم أموات! ومن ناحية أخرى، كان شعور بالحزن ينتابني، ليس فقط على من فقدوا حياتهم، كبشر، بل على أهاليهم الذين يعانون محنة مريرة يصعب تحملّها.

كنت أسمع صدى صوتين يأتيانني دائمًا، وأنا في وسط الصحراء: صوت من نبحث عنهم تحت التراب ينادون: «**نحن هنا،هنا، أين تحفرون؟ نحن نبعد عنكم بضع خطوات فقط، تعالوا...**»، وصوت ذويهم ينادي: «**نرجوكم، ابحثوا عنهم في كل مكان، دقّقوا، ردّوهم إلينا ولو في أكفان، فنحن نتعلّق بحبال الأمل والثقة بعملكم، ونبتهل إلى الله أن يعينكم كي تعثروا على أحبائنا وتردّوهم إلينا حتى وإن كانوا جثثًا هامدة، فأنتم من سخّركم الله لهذه المهمة الإنسانية النبيلة...**».

كان صدى هذين الصوتين لا يفارقني. وأقول في نفسي: «**يا ربّ، هل حان الوقت للردّ على هذين الصوتين بالإيجاب، أم أنك لم تكتب ذلك بعد؟**»

كنت أنظر في عيون كل الأشخاص الموجودين في المكان، فأرى الأمل والجدّ والإصرار على بذل كل ما هو ممكن للوصول إلى نتيجة إيجابية: تحديد مكان الجثث. لم يشعر أحد منهم، ولو للحظة، بأي نوع من الكلل أو الملل أو الكسل. العزيمة والإصرار كانا وسيلتيهم إلى ذلك.

بعد ثلاثة أيام من العمل المتواصل والدؤوب، جرى خلالها استنفاد كافة الاحتمالات حول أية بقعة، مهما صغرت، في البقعة المشار إليها حسب الإحداثيات المتوافرة، انتهت المهمة.

لم نعثر على أحد هذه المرّة. لم أستطع أن أردّ على الصوتين ■

ICRC

عيون شاخصة وحركة لا تهدأ
وهدير آليات للعثور على «الأمل»

كريستين بيرلي*

ICRC

معاهدة تجارة الأسلحة:

الأسلحة والذخائر ليست مجرد شكل آخر...

انعقد مؤتمر الأمم المتحدة الدبلوماسي المعني بإبرام معاهدة تجارة الأسلحة في نيويورك من 2 إلى 27 تموز/يوليو 2012 للتفاوض حول معاهدة من شأنها ضبط عمليات النقل الدولية للأسلحة التقليدية. وترى اللجنة الدولية أن هذا المؤتمر يمثل فرصة تاريخية لخفض التكلفة البشرية الهائلة التي تسببها سهولة الحصول على الأسلحة التقليدية والذخيرة. وهو ما عبرت عنه نائبة رئيس اللجنة الدولية في كلمتها أمام المؤتمر.

REUTERS

إن العمل الذي تقومون به هنا هذا الشهر سيكون له أثر على حياة عشرات ملايين الأشخاص في مختلف أنحاء العالم وعلى صحتهم ورفاهيتهم لعقود عدة قادمة. ويرتدي وجود معاهدة قوية تنظم تجارة الأسلحة أهمية حاسمة لحماية المدنيين وحماية العاملين في الفرق الطبية وفي المجال الإنساني الذين يقدمون المساعدة إلى من هم أشد استضعافًا. كما تشكل معاهدة فعالة لتجارة الأسلحة أداة أساسية لضمان احترام القانون الدولي الإنساني من جانب جميع الأطراف في النزاعات المسلحة، سواء أكانت دولية أو غير دولية بطبيعتها.

من الواضح أن الحصول على الأسلحة يبقى سهلًا للغاية وأن العنف المسلح منتشر في مناطق كثيرة من العالم، ويساهم غياب التنظيم الملائم للتجارة الدولية للأسلحة التقليدية في خلق هذه الأوضاع واستمرارها. وكانت اللجنة الدولية للصليب الأحمر قد نشرت عام 1999 دراسة أجرتها بناء على طلب الدول الأطراف في اتفاقيات جنيف، أظهرت أن السكان المدنيين في أماكن عديدة تتوافر فيها الأسلحة على نطاق واسع، يواجهون، بعد انتهاء نزاع مسلح، خطر التعرض للقتل أو الإصابة في أعمال عنف ذات علاقة بالسلاح بنفس القدر الذي يواجهونه أثناء النزاع المسلح. وجاءت الدراسة التي أجرتها اللجنة الدولية العام الماضي تحت عنوان «الرعاية الصحية في خطر» والتي استندت إلى بيانات من 16 بلدًا تعمل فيها المنظمة، لتبرز أن قضية الهجمات المسلحة على مرافق الرعاية الصحية والعاملين في هذا المجال، وعلى سيارات الإسعاف والأشخاص الذين يسعون إلى الحصول على الرعاية الصحية، يجب أن تكون موضع اهتمام عالمي.

وتشهد اللجنة الدولية في أغلب البلدان التي تعمل فيها الآثار الناجمة عن المراقبة غير الملائمة لعمليات نقل الأسلحة التقليدية. فهناك عشرات آلاف الضحايا الذين يتلقون المساعدة الطبية التي تقدمها اللجنة الدولية.

* نائبة رئيس اللجنة الدولية للصليب الأحمر- جنيف

أما الذين أصيبوا بإعاقة فيعالجون في مراكز إعادة التأهيل التابعة لها أو في المراكز التي تدعمها. ولكن غالبًا ما تكون مساعدة المرضى والجرحى غير متاحة على الإطلاق بسبب تعليق العمليات الإنسانية أو تأجيلها نتيجة الهجمات المسلحة والتهديدات الأمنية المسلحة. وسلطت دراسة اللجنة الدولية عن الرعاية الصحية في خطر الضوء على العواقب غير المباشرة للهجمات المسلحة ضد البنى التحتية وضد العاملين في مجال الصحة. فقد أدى هجوم واحد على مستشفى إلى معاناة 2000 شخص من انخفاض خطير في الرعاية الجراحية اللازمة لسنوات عدة. وفي أحد أفقر البلدان في العالم، يقدَر أنه سيتعذر إجراء 150 000 استشارة طبية في السنة بسبب مقتل طبيبين و15 طالبًا من كلية الطب أثناء حفل تخرج. وفي بلد آخر يمزقه العنف المسلح، قُتل 628 شخصًا من المهنيين المتخصصين في الرعاية الصحية، وهرب 18 000 طبيب، الأمر الذي أدى إلى عواقب كارثية على نظام الصحة.

وطالما يبقى الحصول على الأسلحة في غاية السهولة، سنشهد استخدامًا سيئًا لها، ونشهد خسائر في الأرواح وارتكاب انتهاكات خطيرة للقانون الإنساني، وستتعرض المساعدة الطبية والإنسانية للخطر.

إن المفاوضات حول إبرام معاهدة لتجارة الأسلحة تشكل فرصة تاريخية. فهذه هي المرة الأولى منذ إنشاء الأمم المتحدة التي تتاح فيها للحكومات فرصة – وتتحمل بالتالي مسؤولية – بتحديد معايير دولية لنقل الأسلحة التقليدية. ويجب أن يكون أحد أهم أهداف معاهدة تجارة الأسلحة التخفيف من الخسائر البشرية الناجمة عن توافر الأسلحة. ويجب أن يتم ذلك من خلال وضع قواعد واضحة تنظم نقل الأسلحة التقليدية، كما فعلته الدول بالنسبة إلى معدات أخرى خطيرة منها المواد الكيميائية الخطرة، والنفايات السامة، والمخدرات.

وكانت الدول الأطراف في اتفاقيات جنيف لعام 1949 قد أقرت في ثلاثة مؤتمرات دولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر منذ العام 2003 بأن واجبها القاضي "بضمان احترام" القانون الإنساني يشمل مسؤولية ضمان ألا تقع الأسلحة التي تنقلها بين أيدي من يُتوقع أنهم سيستخدمونها في انتهاكات للقانون. وينبغي أن تفرض معاهدة تجارة الأسلحة على الدول تقييم احتمالات استخدام الأسلحة المنقولة لارتكاب انتهاكات خطيرة للقانون الإنساني. وينبغي أن تنص المعاهدة على حظر نقل الأسلحة حينما تكون هناك مخاطر واضحة بإمكانية حصول ذلك، في النزاعات المسلحة الدولية وغير الدولية على حد سواء. ومن المهم التأكيد في هذا الصدد على ضرورة تحديد الانتهاكات الخطيرة للقانون الإنساني تحديدًا دقيقًا. فهي تشمل "المخالفات الجسيمة" كما هي معرّفة في اتفاقيات جنيف والبروتوكول الأول الإضافي لعام 1977، و"جرائم الحرب" كما هي معرّفة في المادة 8 من نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية.

يمكن استخدام كل أنواع الأسلحة التقليدية لارتكاب انتهاكات خطيرة للقانون الإنساني والقانون الدولي لحقوق الإنسان. ويجب بالتالي أن تشمل المعاهدة جميع هذه الأسلحة. ومن المهم بالقدر نفسه أن تشمل المعاهدة الذخائر التي هي "وقود" العنف المرتبط بالسلاح. وتوجد أصلًا أعداد هائلة من الأسلحة المتداولة ولكن أثرها يعتمد على التزويد المستمر بالذخيرة. ولكي تكون معاهدة تجارة الأسلحة فعالة حقًا، يجب أن تطبق على نقل الذخائر نفس المعايير المطبقة على نقل الأسلحة.

لقد كان لانتهاء الحرب الباردة والزيادة المطردة في التجارة الدولية خلال العقود الأخيرة فوائد عديدة. ولكن ذلك أدى أيضًا إلى تسهيل تدفق الأسلحة التقليدية في كل أنحاء العالم، وما رافقها من نتائج مروعة بالنسبة إلى المدنيين ومجتمعاتهم المحلية. ويجب ألا ينظر أبدًا إلى الأسلحة والذخائر باعتبارها مجرد شكل آخر من أشكال السلع التجارية. لقد حان الوقت لتجدد الحكومات التزامها باتفاقيات جنيف، وبالقانون الدولي لحقوق الإنسان، وسيادة القانون عمومًا، من خلال إرساء قواعد صارمة وعالمية لعمليات النقل الدولي للأسلحة التقليدية ■

أدى هجوم واحد على مستشفى إلى زيادة معاناة 2000 شخص

AFP

زينب غصن

التحديات التي تواجه الرعاية الصحية:

د. روبن كوبلاند

من الأمن الغائب إلى أخلاقيات الممارسة

ما هي التحديات التي تواجه تقديم الرعاية الصحية لمحتاجيها؟ وما المخاطر التي تهدد أمن العاملين في هذا المجال؟ وكيف ينعكس ذلك على الخدمة نفسها في أوقات النزاعات المسلحة؟ تلك بعض الأسئلة التي طرحناها في هذا الحوار مع د.روبن كوبلاند، صاحب الخبرة الطويلة في العمل الميداني مع اللجنة الدولية.

«**عندما تعيش في ظروف غير آمنة تشعر أنك عالق بين الرغبة في الهرب والختباء وبين مسؤولياتك. قد تدفعك غرائزك للاهتمام بنفسك وبحياتك، لكن مسؤولياتك المهنية تحتم عليك الاستمرار في القيام بعملك. وهذا انعكاس لحقيقة بسيطة، هي أنه عندما يبدأ أي صراع تزيد الحاجات للعناية الصحية وهو الوقت الذي تكون فيه -كطبيب- بحاجة للتمتع بقدرات عالية للتعامل مع مخاطر مباشرة.**» قبل أن ينضم إلى اللجنة الدولية كان **د. روبن كوبلاند** يتدرب كجراح في بريطانيا. كانت أول مهمة له مع اللجنة الدولية في العام 1987 على الحدود الأفغانية الباكستانية في **بيشاور**. أمضى **د. كوبلاند** سبع سنوات من العمل في الجراحة الميدانية مع اللجنة الدولية لينتقل بعدها إلى مقرها الرئيسي في **جنيف**، حيث عمل على قضايا الأسلحة، ولا سيما الألغام المضادة للأفراد وهو الآن مستشار مبادرة اللجنة الدولية العالمية الخاصة بقضية «الرعاية الصحية في خطر».

«**عندما تعمل في منطقة نزاع مسلح فإن الأمن يصبح عنصرًا ضروريًا ولاعبا أساسيا في توفير العناية الصحية لمحتاجيها.**» هذه الحقيقة، وتأثير غياب الأمن على عمل الطبيب، واجههما **كوبلاند** عندما ذهب إلى الميدان من خلال حوادث متنوعة كانت تؤدي إلى توقف عملية تقديم الرعاية الصحية لمن يحتاجها. يروي أنه في أول أسبوع عمل له «**خلال مهمتي الأولى تلقيت اتصالا للتوجه إلى المستشفى بسبب وجود حالة طارئة. وبينما كنت أقود السيارة متوجها إلى المستشفى أوقفني شرطي وقبل أن أعرف ما يحصل كان هناك 4 رجال شرطة بأسلحتهم في السيارة. لم يهددوني ولكنهم طلبوا مني التوجه إلى أحد الأمكنة. قدت مسافة 10 كيلومترات ثم طلبوا مني أن أنزلهم. وعندما عدت أدراجي باتجاه المستشفى كان الوقت قد فات. هذا يعتبر حادثًا أمنيًا، ليس تجاه أمني الشخصي فقط، وإنما تجاه أمن الأشخاص الذين كانوا ينتظرونني في المستشفى للحصول على العلاج الطارئ الذي لم يحصلوا عليه في النهاية**».

لعل الكثيرين يعتقدون، عندما نتحدث عن الحوادث الأمنية التي تطال العاملين الصحيين في مناطق النزاعات المسلحة، أن ذلك يعني الحوادث الخطيرة التي تطال الأطباء والممرضين كالتعرض للقتل أو التهديد أو الضرب أو الاختطاف. وهذه الحالات بالتأكيد قد توقف تقديم الرعاية، سواء أكان ذلك بشكل مؤقت أو، في حال استمرارها، قد تدفع الأطقم الطبية إلى الانسحاب والمستشفيات إلى الإغلاق، ما قد ينعكس سلبيا، وبشكل كبير على صحة الأشخاص القاطنين في المحيط. لكن **كوبلاند** يرى أن «**هناك العديد من الأحداث الأخرى الأقل خطورة ظاهريًا، والتي يمكن ألا تنقلها وسائل الاعلام، غير أن تأثيراتها تبقى كبيرة مثل التوقيف المستمر عند الحواجز، والحوادث الأمنية المتكررة عند أبواب المستشفيات، والتي نلاحظ أنها في تزايد كبير، لا سيما من قبل أهالي المرضى غير الراضين مثلا عن نوعية الخدمة العلاجية المقدمة، أو عن سرعتها، ما يؤدي إلى شعور عام بعدم الأمان من قبل مقدمي الخدمات الصحية، وهو أمر قد يدفع إلى توقف الخدمة**».

REUTERS

قد تدفعك الغريزة للاهتمام بنفسك لكن المسؤولية تحتم عليك الاستمرار في العمل

وبعيدا عن الانتهاكات المباشرة التي تصورها كاميرات الإعلام، هناك أحداث لا يمكن تصويرها أو رؤية تأثيراتها مباشرة، وإنما نشعر بتأثيرها على صحة الناس على المدى البعيد. ويعطي **د. كوبلاند** مثالا على ذلك «**في 2009 طال التفجير حفل تخرج لأطباء في مقديشو في الصومال، أدى إلى وفاة عدد كبير من الأطباء ومن المتخرجين. أدى التفجير إلى خسارة 150 ألف استشارة طبية سنويا في الصومال. وبالتالي فإن التأثير بعيد المدى على صحة السكان ضخم جدًا. كما أن مئات الألوف من الأطفال على الحدود بين أفغانستان وباكستان لا يحصلون على لقاحات شلل الأطفال، فقط بسبب غياب الأمن الذي يسببه العنف والصراع المسلح في هذه المنطقة. لكن ذلك من شأنه أن يكون له تأثير طويل الأمد على صحة الآلاف، وربما ملايين من الأشخاص في المستقبل**».

كذلك، وبالرغم من احترام الخدمات الصحية في بعض الأماكن وغياب أي انتهاك للقانون إلا أن انعدام الأمن العام قد يؤدي إلى عدم تقديم الرعاية الصحية لمن يحتاجها. يقول **كوبلاند**: «**في بداية التسعينيات كان هناك صراع مسلح في كابول، والقصف عنيف، وسقطت على المدينة ألفا قذيفة في يوم واحد. وبالرغم من أن اللجنة الدولية وعملها كانا محترمين من قبل السكان، كمنظمة محايدة وغير منحازة، حتى أننا في المساء كنا الوحيدين الذين ننير أضواءنا، وهو ما يسهل استهدافنا إذا ما أراد أحد ذلك، لكنه لم يحصل. وبسبب انعدام الأمن عامة، امتنع موظفونا عن التنقل، وبالتالي كان المستشفى غير فاعل بالشكل المطلوب**».

هذا الإحساس بعدم الأمان يؤثر بشكل كبير على نوعية الخدمة الصحية المقدمة، وليس فقط على حجمها. «**فعندما يندلع الصراع عليك أن تتوقع أن يكون لديك عدد أكبر من الضحايا الذين يقصدون المستشفى، وفي الوقت نفسه تقل القدرة على معالجة هؤلاء الناس. وذلك وضع صعب جدا لأي مقدم خدمة صحية. عليك أن تعمل وانت تعب، خائف، لم تنم طوال يومين، وعليك أن تقوم بعمل مضاعف. كما أن مقدمي الخدمة من السكان المحليين يكونون تحت ضغط إضافي، فهم أيضًا قلقون على عائلاتهم، أو أن الحكومة لم تعد قادرة على دفع رواتبهم وغيرها من الضغوط..**».

في آب/ أغسطس 2011 أصدرت اللجنة الدولية دراسة هي الأولى من نوعها تناولت الانتهاكات المسجلة تجاه العاملين في مجال الرعاية الصحية ومرافق الرعاية الصحية في 16 دولة حول العالم. يقول **د. كوبلاند**: "**هذه الدراسة هي الوحيدة حتى الآن التي تناولت هذا الموضوع. لم يكن هناك أي مقياس أو مراقبة ممنهجين للانتهاكات التي تصيب الرعاية الصحية ومقدميها. وأعطتنا صورة عن الأنماط المختلفة من العنف التي تواجهها الرعاية الصحية**". لكن بالنسبة لكوبلاند "**فإن الحالتين الأكثر خطورة هما الهجمات المقصودة على مقدمي الخدمات الصحية فقط لكونهم يقدمون خدمة صحية، واستخدام المتفجرات ضد البنية التحتية للخدمات الصحية التي يعتمد عليها المصابون للحصول على الرعاية**".

وتشير الدراسة، بحسب **كوبلاند**، إلى أن غالبية الحوادث طالت المقدمين المحليين للرعاية الصحية، بالرغم من عدم وصول هذه الأخبار دائمًا إلى وسائل الإعلام العالمية، التي تركز غالبًا على حوادث تتضمن بين ضحاياها أجانب أو عاملين في منظمات إنسانية. أما المسؤولون عن هذه الحوادث فهم، بحسب **كوبلاند**، وبناء على نتائج الدراسة، "**منقسمون بشكل متساو بين قوات حكومية (شرطة وجيش) وقوات غير حكومية (مجموعات مسلحة وثورية ومعارضة). وبالتالي ما قدمته هذه الدراسة هو تحديد القضايا التي ينبغي أن نتحاور فيها مع هذه الأطراف ومنها مثلاً الاعتداءات على الطرقات المفتوحة وخطف مقدمي الخدمات الصحية، والدخول عنوة والسيطرة على المراكز الصحية**".

•••

ولعل تحول الصراعات الحديثة في غالبيتها إلى نزاعات داخل مدن مأهولة تنتشر فيها مرافق الرعاية الصحية هو أيضًا ما يرفع نسبة المخاطر التي تطالها والعاملين فيها. "**نعرف أن الصراعات الحديثة تحصل بمجملها في المدن، والبنية التحتية المدنية للصحة قد تصبح مكانًا يقصده ليس فقط الجرحى ولكن أيضًا قوات الأمن لإيجاد واعتقال الجرحى. وربما تكون هناك تعليمات بعدم تقديم العناية الصحية لبعض الأشخاص أو حتى تسليمهم للقوات الأمنية في حال وصولهم للمستشفى. وبالتالي فما يحصل للجرحى وللبنية التحتية الصحية أصبح جزءًا لا يتجزأ من أي صراع حديث. ورأينا ذلك في المنطقة العربية. وهو أمر جد خطير**".

لكن ما هي الخطوة التالية بعد جمع المعلومات وإطلاق حملة التعريف بالمخاطر التي تواجه الرعاية الصحية في العالم؟ يرى **د. كوبلاند** ضرورة "**وضع المعلومات المجمعة حتى الآن في مشروع متكامل من أجل الضغط لتغيير الأوضاع من خلال ورش عمل، وفي الحوارات مع الحكومات ومع حاملي السلاح وهو ما بدأت اللجنة الدولية تقوم به اليوم. كما تأمل اللجنة الدولية بتنظيم عدد من الاجتماعات وورش التدريب للعاملين الصحيين، لا سيما التدريب على مبادئ عدم الانحياز والحيادية في تقديم الخدمات الصحية، وكذلك على الآليات التي تساعدهم في تقييم الأوضاع الخطرة التي قد يوجدون فيها وكيفية الاستجابة بشكل أفضل لهذه التحديات**".

كل ذلك دفع إلى عقد اجتماع في **لندن** في نيسان/ أبريل الماضي لخبراء الصحة واختصاصيي المساعدات الإنسانية لدراسة تدابير عاجلة لهذه المشكلة. وهو الاجتماع الأول من نوعه الذي يجمع صناع السياسة، وأكاديميين، وأطباء وممرضين، والمجتمع المدني للتركيز على المشكلة العالمية الخاصة بالتهديدات العنيفة الموجهة للرعاية الصحية.

يقول **كوبلاند**: "**نريد أولاً من المجتمع الطبي أن يتكلم عن هذه المشكلة بصوت واحد من خلال إنشاء مجتمع مهتم بهذه القضية وقلق منها ويتكلم عنها بوصفها قضية كبرى. الأمر الثاني الذي أردناه من هذا المؤتمر هو أن يصدر توصيات عن المجتمع الصحي للحكومات والأمم المتحدة حول كيفية جعل الواقع أفضل، والأمر الثالث هو النظر إلى ممارسات الهيئات الصحية نفسها وبشكل خاص قضية الأخلاقيات الطبية عند تقديم الرعاية الصحية في أوقات النزاعات، وعلى رأسها الحياد وعدم التمييز بين المحتاجين للرعاية ووضع مصلحة المريض كأولوية والتركيز على الأخلاقيات الطبية في زمن الحرب**." يضيف **كوبلاند**: "**كان التركيز ينصب حتى الآن على أخلاقيات العمل الطبي في الاحتجاز، أي أسئلة حول أدوار الاطباء في الاستجوابات والتعذيب وفي التغذية القسرية للمحتجزين وغيرها... وكان هناك اعتبار أقل في ما يخص الأخلاقيات في تقديم الخدمة الصحية نفسها للجرحى والمرضى في النزاعات. وهذا ما نحاول أن نفعله الآن**" ■

REUTERS

ما يحدث للجرحى جزء لا يتجزأ من أي صراع حديث

عرفة عبد الدايم ضابط إسعاف متطوع في الهلال الأحمر الفلسطيني لخدمة المحتاجين في غزة لكنه قتل بينما كان يؤدي مهمته الإنسانية أثناء العملية العسكرية بين عامي 2008 و2009 تاركا وراءه أربعة أطفال وزوجة هي نفسها متطوعة.

«**استهدفته** ثلاث قذائف مسمارية بشكل مباشر، عند محاولته إنقاذ أرواح ضحايا سقطوا أثناء اشتداد القصف في منطقة العطاطرة في بيت لاهيا، شمال قطاع غزة» بهذه الكلمات وصفت **امتثال** (34 عامًا)، اللحظات ما قبل الأخيرة من حياة زوجها **عرفة**، ضابط الإسعاف المتطوع، الذي مات متأثرًا بجراحه خلال العملية العسكرية على قطاع **غزة**.

تزوجت **امتثال** من **عرفة** منذ 12 عامًا، ولديهما أربعة أطفال أكبرهم **هاني** (11 سنة)، وأصغرهم **أحمد** (4 سنوات). لم تفكر يومًا أنها ستفقد زوجها ومعيل أسرتها بين ليلة وضحاها، في ما توجه لإنقاذ الجرحى وإجلاء القتلى.

يجلس اثنان من أطفالهما حولنا، بينما تستعيد **امتثال** بعضًا من ذكرياتها. «**التقيت عرفة خلال دورة تدريبية لتأهيل ضباط الإسعاف في جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني في العام 1999**». بعد تخرجهما في الدورة، عمل كلاهما ضمن طاقم ضباط الإسعاف التابع للجمعية، إلى أن توظف **عرفة** في التدريس في «**وكالة غوث وتشغيل**

ICRC

راما ربيع حميد*

عن عرفة الذي فقد حياته في سبيل الآخرين

ICRC

امتثال وأطفالها الأربعة

اللاجئين – الأونروا»، وبقيت **امتثال** متطوعة مع الجمعية.

وبسبب تعلّقه بالعمل الإنساني وحبه الشديد لمساعدة الناس دون انتظار مقابل، كان **عرفة** يتقاسم أوقات فراغه كمتطوع في جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني وأيضًا في «**مستشفى العودة**» ضمن لجان العمل الصحي. وعندما بدأت العملية العسكرية الواسعة على قطاع **غزة** بين عامي 2008 و2009، لم يتوانَ عن الانضمام إلى طواقم الإسعاف في جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني ولجان العمل الصحي في منطقة شمال قطاع **غزة**.

تتذكر **امتثال** بأسًى أحداث أيام تلك العملية العسكرية: «**عندما بدأت الحرب كنا نعمل، نحن الاثنين، في الإسعاف في الهلال الأحمر الفلسطيني، وطوال الأيام التسعة التي سبقت وفاته لم نلتق لأكثر من لحظات. فقد كنت أعمل فترة الصَباح، ويعمل هو فترة المساء. تأتي سيارة الإسعاف تقلّني صباحًا، وتعيدني مساءً لتقلّ زوجي الذي لا يعود إلى البيت إلا في السابعة صباحًا، وقت مغادرتي للعمل**».

تواصل **امتثال** حديثها متذكرة تفاصيل يوم وفاته: «**في يوم 2009/01/02، استمر في دوامه حتى السابعة من صباح اليوم التالي. التحق بإسعاف مستشفى العودة وجاءهم اتصال باشتداد القصف في منطقة العطاطرة، وتم استدعاؤهم لوجود مصابين وقتلى. ولأنه شخص مبادر، فقد سارع إلى إنقاذ الأرواح**».

هاتفته **امتثال** قبل استهدافه بعشرين دقيقة، فطمأنها على أنه بخير، وطلب منها ألا تقلق عليه، وأن تعتني بنفسها وبالأطفال. كانت هذه المرة الأخيرة التي تسمع فيها صوته. ما زاد من حزنها أنها لم تعرف أنه أصيب رغم وجوده في غرفة العمليات لخمس ساعاتٍ متتالية. لم تعرف إلا بعد أن خرج من العمليات، عندها ارتدت ملابسها على عجل وخرجت إلى الشارع لاهثةً تتمنى أن تراه وتحدثه وتطلب من اللّه أن يبقى بجانبها وبجانب أولادها. لكن ما إن وصلَت إلى الطريق الرئيسي، حتى رأت الناس تتوافد باتجاه منزلها. أيقنت أنه رحل عنها وتركها وحيدة.

تدمع عينا **امتثال**. ينظر طفلها الصغير **أحمد** إليها، كان عمره عامًا واحدًا عندما مات والده. ولم يعِ، لا هو ولا إخوته الأكبر منه سنًا، تلك اللحظة التي دخل والده المنزل محمولًا على الأكتاف. **هاني**، الابن الأكبر، عاش تلك اللحظات، وعانى من صدمة نفسية لم يجتزها إلا حديثًا. تقول امتثال «**أصبت بصدمة شديدة بعد وفاة عرفة جعلتني في حالة ذهول طوال الوقت. ساعدتنا مؤسسة للدعم النفسي، أنا وابني هاني، على استعادة نمط حياتنا الطبيعي، والتأقلم مع الوضع الجديد**».

ما حدث **لعرفة** ترك في نفس **امتثال** ترسبات سلبية أثرت في نمط حياتها وجعلتها تتساءل: «**كيف يمكن احترام العمل الإنساني**؟».

بعد وفاة **عرفة**، لم يعد لهذه الأسرة معيل، فعاشت **امتثال** معاناة مع أولادها ومحيطها الذي تعيش فيه. تقول: «**فقدنا رب أسرتنا. حتى في رمضان، يذهب كل الأولاد مع آبائهم وأولادي يذهبون وحدهم. يأتيني هاني باكيًا كل عيد عندما يعود من الصلاة مع إخوته ويقول لي: لماذا أبي ليس معنا**؟».

وفقًا للقانون الدولي الإنساني، لا يجوز مهاجمة العاملين في مجال الرعاية الصحية، فإن الأفراد العاملين في الخدمات الطبية محميون في أثناء تأدية مهماتهم الطبية حصرًا، واستهدافهم محظور تمامًا. لكن **عرفة** توفي بزيّه الرسمي كمتطوع ضمن لجان العمل الصحي، ومستقلاً سيارة إسعاف كتب عليها باللون الأحمر، وباللغتين العربية والإنجليزية «**إسعاف**» ■

* موظفة في قسم الإعلام في البعثة الفرعية للّجنة الدولية في غزة.

عرفة

ICRC

طريق أزمة المياه في الشرق الأوسط:

ميشال تلحمي*

في عالم يواجه شحًا متزايدًا في المياه تتضاعف التحديات لإيجاد حلول للمشاكل المتعلقة بالمياه. ففي المناطق التي تعاني من ندرة الماء نلاحظ الانتشار الواسع لاستغلال المياه بشكل غير مستدام، مما يخلق منافسة أشد على مصادر المياه العذبة.

ومع وجود العديد من النزاعات التي فاقمها سوء استخدام المصادر المائية، تزداد تعقيدًا التحديات التي تواجه كلا من السلطات المحلية واللجنة الدولية للصليب الأحمر. ففي الشرق الأوسط مثلًا أدت المنافسة على مصادر المياه إلى عملية استغلال المياه بشكل غير مستدام، مما أدى بدوره إلى تهديد هذا المصدر الحيوي بحد ذاته. كما نجد دائمًا في البلدان التي تعاني من نقص المصادر المائية والمشاكل البيئية توترات ناتجة عن حالات مزمنة من عدم المساواة، حيث نجد ضمن السكان المدنيين مجموعات كبيرة من المُهمشين والمتروكين دون خدمات أساسية، كالمياه النظيفة والصرف الصحي.

ويواجه الشرق الأوسط بشكلٍ خاص العديد من التحديات البيئية، بما فيها انخفاض نصيب الفرد من الثروة المائية، وتناقص الأراضي الصالحة للزراعة، والمشاكل الصحية الناتجة عن التلوث، وانحسار المناطق الساحلية، إضافة إلى تعريض الموارد البحرية للخطر. فالضغوط على البيئة في ازدياد مستمر ويُتوقع استمرارُها في ضوء التغيرات الحاصلة في المناخ. بذلك لن يكون مفاجئًا اذا ما أدى ازدياد المنافسة على الموارد الشحيحة وتدهور المصادر الطبيعية إلى تفاقم التردي في الوضع الإنساني، ما لم تتم معالجة هذا الوضع ما سيؤدي بدوره إلى المزيد من الظلم الاجتماعي ومن احتمالات الهجرة السكانية. وإذا ألقينا نظرة على قضايا استدامة المصادر البيئية والطبيعية بالمقارنة مع النمو السكاني السريع، سنجد النتيجة حتمًا محبطة. فمن الواضح تمامًا أن غياب الأمن المائي والبيئي سيخلق المزيد من الضعف ويعيق النمو الاقتصادي، واضعًا العبء الأكبر على المجتمعات الأكثر تهميشًا، والتي تعاني أصلًا من حالة عدم الاستقرار السياسي والاضطرابات الاجتماعية التي تعصف بالمنطقة.

وبحسب برنامج الأمم المتحدة الإنمائي(UNDP) فإن «**شح المياه هو أحد أخطر التحديات البيئية التي تواجه المنطقة العربية**»، علمًا بأن ندرة المياه الشديدة في معظم مناطق الشرق الأوسط لا تعود إلى الظواهر الطبيعية فقط بل غالبًا ما تكون من صنع الإنسان. فسوء توزيع المياه اجتماعيًا تعتبر مسألة إدارية تتعلق بالقرارات المتخذة بشأن استثمار مصدر مائي ما وتخصيصه لهدف معين. ودفعت الصلة الوثيقة بين المياه والتقدم الاقتصادي بالدول و/أو الجماعات إلى استغلال مصادر المياه العذبة إلى أقصى حد، وعلى حساب هذه المصادر.

مياه افتراضية

واكب جهود دول الشرق الأوسط للتغلب على نقص إمدادات المياه اعتماد تلك الدول أكثر فأكثر على استيراد المواد الغذائية الزراعية، التي تم إنتاجها باستخدام مياه دول أخرى (وهو ما يُعرف باستيراد «المياه الافتراضية»)، حيث تدخل معظم «المياه الافتراضية» إلى منطقة الشرق الأوسط عن طريق استيراد القمح والأرز، وهي المحاصيل التي تتطلب زراعتها مياها وفيرة نسبيًا.

وبالرغم من أن المياه الافتراضية تلعب دورًا هامًا في تعويض ندرة المياه إلا أنها قد تجعل الحكومات عرضة لتقلبات أسعار السلع الأساسية في السوق، مثل القمح وغيره من أنواع الحبوب. أضف إلى ذلك أن الاعتماد الكبير على استيراد المياه الافتراضية قد يؤثر سلبًا على شريحة السكان (الكبيرة نسبيًا) التي تعمل في القطاع الزراعي بشكل مباشر أو غير مباشر، ويضر بمعيشتهم ووضعهم الاقتصادي، إذا لم تُتخذ الإجراءات الكفيلة بإيجاد فرص عمل جديدة خارج القطاع الزراعي. ويمكن هنا أن نعزو التسارع الكبير في الهجرة إلى المدن في المنطقة العربية إلى ذلك السبب، نظرًا لأن الفئات المتضررة والعاطلين عن العمل من السكان لا بد أن يسعوا لإيجاد الوظائف في قطاعات وأماكن أخرى.

المياه في مناطق النزاع

تكتسب قضية المياه أهمية كبرى في مناطق النزاع المسلح، حيث تؤدي انقطاعات التيار الكهربائي إلى نقص في التزويد بالمياه، مما يؤثر سلبًا، لا على الحصص المنزلية فحسب، بل على إمدادات المياه للزراعة أيضًا، وبالتالي على سبل العيش. وغالبًا ما يمتد أثر النقص في المياه ليؤدي إلى ارتفاع كبير في أسعار السلع الغذائية الأساسية. كل ذلك يفاقم الاستياء في أوساط فئات السكان المتضررين، والذي قد يؤدي طول انقطاع تقديم الخدمات الأساسية لهم إلى تدني مستوى معيشتهم. ومرة أخرى، تتأثر المجتمعات المهمشة أكثر من غيرها بهذه الحلقة المفرغة بين المياه والطاقة والغذاء. هذه العوامل المشتركة، التي تساهم في حدوث النزاعات، كلها تفاقم من وضع السكان المتضررين، مما يعرقل قدرة المجتمعات المحلية ككُل على مواجهة الكوارث الطبيعية كالجفاف.

تواجه منطقة الشرق الأوسط نقصًا متناميًا في المياه، مما يهدد استقرارها، وينذر بنزاعات محتملة. هل يمكن أن يؤدي هذا النقص إلى فتح طريق للسلام، عبر التعاون لاستغلال المياه بشكل مستدام؟

يمكننا ملاحظة الآثار المباشرة للنزاع المسلح على كل من الثروة المائية والزراعية، وعلى مستويات التلوث بالنفايات، والتدهور الملموس للنظم البيئية، على سبيل المثال لا الحصر. وفي الوقت نفسه، فإن الآثار غير المباشرة مهمة كذلك من حيث انخفاض القدرات المؤسسية للإدارة البيئية وضعف آليات التكيُف التي يستخدمها السكان المدنيون نتيجة لهذه النزاعات. فهذه الآثار، المباشرة وغير المباشرة، يمكن أن تشكل تحديات خطيرة للسكان المتضررين على المدى الطويل، وتقلص من إمكانية الانتعاش لمدة طويلة بعد نهاية النزاع.

المياه طريقا للسلام

وبالرغم مما سبق، يمكن للمياه أن تكون سببًا للسلام في بعض الأحيان، فعندما تتفق دول أو جماعات على التعاون الحقيقي في مجال المياه، غالبًا ما يعود ذلك إلى إدراكها بوجود مصالح مشتركة على كفة الميزان، من حيث حماية الموارد المائية واستخدامها المستدام، إضافة للفوائد التي يمكن استحداثها والتشارك بها. ولكن للأسف، عادةً ما تكون المياه سببًا في تفاقم التوتر الناشئ عن النزاعات والصراعات القائمة أصلًا. وأدركت اللجنة

* المستشار الإقليمي للمياه والبيئة لدى اللجنة الدولية للصليب الأحمر في الشرق الأوسط والأدنى.

ICRC

إلى الحرب أم إلى السلام؟

الدولية أن إيجاد وتنفيذ ودعم حلول أفضل للمشاكل المتعلقة بالمياه «على أرض الواقع» في المناطق التي تعاني من نزاعات مستمرة يتطلب دمج السياق المحلي بذلك. ففهم طبيعة السياق المحلي واستخدام الممارسات المحلية والتأكد من إشراك جميع الأطراف المعنية، كلها عناصر أساسية عند إيجاد حلول مستدامة ذات إمكانيات لتوسيع نطاق التعاون.

أما بالنسبة للتدخل الإنساني، فيكمُن التحدي الأكبر في القدرة على إيجاد بيئة ملائمة للتعاون الفعال وإدامته. وفي هذا المجال، يمكن أن يساهم التعرف على المشكلات والمخاطر المشتركة بين مختلف أطراف النزاع في إيجاد الحلول المستدامة لمشاكل المياه من خلال رؤية مشتركة يتم التوصل إليها عن طريق تعزيز الحوار. سيساهم ذلك في تطوير المفاهيم والمؤسسات المحلية إضافة إلى تأسيس طرق غير تقليدية في إدارة المياه واعتمادها لاحقًا. إن تعزيز الممارسات المحلية في إدارة المياه ودعم المؤسسات المسؤولة عنها، مع اعتماد الطرق غير التقليدية في إدارة المياه، ودمجها كجزء من التدخل الإنساني، مسألة في غاية الأهمية بالرغم من صعوبتها والتحديات الناتجة عنها.

تعزيز الأمن الإنساني

إن نجاح الإدارة المستدامة للموارد الطبيعية والبيئية يعني الأمل بتعزيز الأمن الإنساني، سواء من حيث سُبُل العيش أم النظم البيئية، كما تعتبر الإدارة الناجحة عاملاً مساهمًا في الوقاية من نشوب النزاعات في منطقة تجاوز عدد سكانها 300 مليون نسمة. إلا أن كل ذلك يعتمد على الإيمان بأن المسؤولية البيئية المشتركة بين جميع الأطراف المعنية ستعمل على منع حدوث الأضرار البيئية الكبيرة أو تخفيفها، مع الاستمرار بالجهود على المستوى الدولي لضمان فرض قواعد القانون الدولي الإنساني الوقائية وتنفيذها. أما في الحالات التي لم يتحقق بها ذلك، فيأتي دور التدخل الإنساني بحيث يكون هدفه بناء قدرة المجتمع المحلي وتمكينه من الصمود من خلال نظرة أكثر شمولية إلى الأمن الإنساني تدمج قضايا أمن المصادر المائية والبيئية ومصادر الطاقة والغذاء والاقتصاد (سبل العيش) في برامج المساعدة. وبالرغم من استمرار العملية السياسية وعملية تطوير وتدوين القواعد الدولية التي تجري بهدف حل النزاعات والتوترات، إلا أن الوقت ليس عامل ترف بالنسبة لشرائح السكان التي هي بحاجة ماسة للمساعدات الإنسانية ■

مشاريع لحماية الموارد المائية

تفاقم النزاعات المسلحة وغيرها من حالات العنف إلى حد كبير من المعاناة التي يعيشها عشرات الملايين من الناس في مختلف أنحاء العالم وهم يكافحون يوميًا للحصول على مياه نظيفة صالحة للشرب ويعيشون في ظروف غير صحية. وبمناسبة اجتماع عدد من الخبراء في المنتدى العالمي السادس للمياه في آذار/مارس الماضي في مدينة **مرسيليا** الفرنسية الساحلية لمحاولة إيجاد حلول لمشاكل المياه في العالم.

ويقول رئيس قسم المياه والإسكان في اللجنة الدولية **جان فيليب دروس**: «**من شبه المستحيل لمن ينعمون بحظ فتح الصنبور والاستحمام بماء ساخن كل صباح، أن يتصوروا ما معنى أن ينزح المرء من جراء القتال ويعيش في ظل شجرة في منطقة الساحل الرازحة تحت وطأة الجفاف، أو أن يعلق في خضم المعركة في مدينة حمص، من دون أن يتمكن من الخروج بحثًا عن المأكل والمشرب. من الصعب أن يكون المرء عطشاً وجائعًا، لكن المعاناة تختلف حين يتربص به، بالإضافة إلى عطشه وجوعه، خطر العنف وإراقة الدماء**».

وتشير التقديرات إلى أن أكثر من 780 مليون شخص في العالم، يعيش 40٪ منهم في أفريقيا–جنوب الصحراء، لا يستطيعون الحصول على مياه نظيفة، بينما يعيش ما يناهز مليارين وخمسمئة مليون شخص بدون مراحيض. ونظمت اللجنة الدولية، خلال المنتدى العالمي السادس للمياه، مناقشات حول أهمية التعاون والتواصل على المستوى الميداني للتوصل إلى حلول عملية، لا سيما في المناطق المتأثرة بالنزاعات، حيث يمكن للقتال الكثيف أو طويل الأمد، وللمشاحنات السياسية وأعمال الحصار أن تترك المجتمعات المحلية بدون وسيلة لائقة للحصول على المياه ومرافق الصرف الصحي لأسابيع أو سنوات أو حتى لعقود كاملة.

وتنفذ اللجنة الدولية مشاريع تتعلق بالمياه والصرف الصحي والبناء يستفيد منها أكثر من 20 مليون شخص في 48 بلدًا متأثرًا بالنزاعات حول العالم.

ونجد مثالًا على قدرات الإبداع المحلية في **رفح** في قطاع **غزة**، حيث دفعت القيود المفروضة على استيراد مواد البناء، والشح المزمن في المياه، وتردي نظام الصرف الصحي، إلى وضع خطط لبناء نظم مبسطة ومراعية للبيئة لمعالجة مياه الصرف الصحي. واستخدمت مواد أعيد تدويرها وتقنيات مبتكرة لإنشاء محطة يستفيد منها 180 ألف شخص، قادرة على تحويل مياه الصرف الصحي إلى مورد نظيف يمكن استخدامه لري أشجار الفاكهة. وتساهم أيضًا مشاريع من هذا النوع في حماية المياه الجوفية في القطاع، وحماية البحر الأبيض المتوسط من التحول إلى مكبّ لمياه المجاري الآسنة ■

ICRC

بينما يحتفل العالم سنويًا في الخامس من حزيران/ يونيو بيوم البيئة العالمي، تبدو قضايا البيئة في العراق ومشاكلها الناتجة عن سنوات من الصراعات في ذيل قائمة الاهتمامات.

ICRC

مشاكل البيئة في العراق والحلول المؤجلة

حيدر نجم*

كعادتهم دائمًا، ينشغل السياسيون بخلافات جانبية وصراعات سياسية، أكثر من انشغالهم بالواجبات التي كُلفوا بها عند تسنّمهم المناصب الرسمية والمهام الاعتبارية التي أُنيطت بهم على أساس كونهم قادة البلاد الجُدد.

عدم الاكتراث لقضايا تخص القطاع البيئي ومشاكله، على سبيل المثال لا الحصر، سمة ميزت مواقف غالبية صُناع القرار، ما دفع أنصار البيئة بمناسبة يومها العالمي المصادف الخامس من حزيران/ يونيو، إلى توجيه انتقادات صوب المتقاعسين عن أداء واجباتهم من مسؤولين وساسة.

أول الانتقادات جاء على لسان **عادل فاخر**، الصُحافي المهتم بتغطية شؤون البيئة والعلوم، الذي أبدى امتعاضه من عدم مبالاة الحكومة بهذا القطاع الذي يمس حياة المواطنين وصحتهم. إذ قال عضو الاتحاد الدولي للإعلاميين العلميين الحائز على جوائز دولية عن كتاباته الصحافية إن «**الإجراءات الحكومية محدودة جدًا تجاه معالجة المخاطر البيئية**»، منتقدًا «**عدم فسح مؤسسات الحكومة المجال أمام المنظمات الدولية من أجل التعاون للحد من تلك المخاطر**».

وهنا يستشهد بما تعرض له أعضاء فريق مؤسسة «**ناشيونال جيوغرافيك**» من إجراءات أمنية مُعقدة أدت إلى اعتقالهم مرتين أثناء تصويرهم فيلمًا وثائقيًا عن **أهوار** العراق، مما حدا بالفريق إلى إلغاء المهمة من أساسها ومغادرة البلاد.

المؤسسات الحكومية ومنظمات المجتمع المدني المعنية، أطلقت حملات كثيرة حذرت من المخاطر البيئية التي تعرضت لها البلاد وباتت تهدد سكانها بشكل يفوق تهديد أعمال العنف لحياتهم، لا سيما بعد إصابة عدد من السكان بأمراض وأوبئة عدة لم يسلم منها حتى الحيوان والنبات.

مشاكل البيئة العراقية عديدة ومتنوعة وتتمثل في التصحر، الجفاف، التلوث الإشعاعي، تلوث الهواء، التلوث الصناعي، تلوث مياه الشرب، الألغام...إلخ. جميعها مشاكل ليست وليدة اللحظة بل موروثة في غالبها، ولم تنفع محاولة الحكومات المتعاقبة على حكم البلاد أو جهود المنظمات الدولية المعنية بالمحافظة على البيئة في معالجتها.

ورغم انشغالهم عنها إلا أن مشاكل البيئة أطلت برأسها عنوة على طاولة أقطاب الحكم، فهذه المشكلات التي أخذ بعضها بالتفاقم بدأت تزاحم في أهميتها الأزمات الأمنية والسياسية، سيما وأنها شملت جميع مكونات الحياة الإنسانية (الهواء والماء والتربة). كما ظهرت مشكلات أخرى على السطح مثل ظاهرة الهزات الأرضية التي ضربت مؤخرًا عددًا من مناطق البلاد من شماله إلى جنوبه، وهي ظواهر لم تكن تحدث في بلاد وادي الرافدين سابقًا، حتى إن مواطنيه لم يسمعوا عن حدوثها إلا في بلدان بعيدة.

الحديث المتواتر عن تردي الواقع البيئي في العراق، لا يقتصر على البحوث والتقارير الدولية وما يتداول على ألسنة الخبراء ووسائل الإعلام، بل التأكيدات عن سوء الحال هذا صدحت بها حناجر مسؤولين وموظفين حكوميين على صلة بهذا القطاع الحيوي.

أحد أولئك الذين يحذرون من تفاقم مشاكل البيئة في عموم البلاد، هو **مصطفى حميد** الناطق الرسمي باسم وزارة البيئة، الذي أجاب على سؤال عن طبيعة الواقع البيئي الحالي، قائلا: «**ليس واقعًا مثاليًا**». والسبب الرئيسي في ذلك بحسب رأيه يعود إلى «**تراكمات الحقبة السابقة وهي تراكمات تحتاج إلى زمن طويل لمعالجتها**».

المُتحدث الحكومي لم يستبعد تأثير الصراع السياسي الدائر في البلاد على الواقع البيئي، مؤكدًا أن هذا الصراع «**يؤثر على الدولة عمومًا.. ويلقي بظلاله على العمل المؤسساتي في قطاعات مهمة من بينها قطاع البيئة**».

اهتمام صناع القرار بقضايا البيئة لا يتعدى في أفضل الأحوال إطلاق التصريحات الإعلامية التطمينية، وغالبًا ما تكون غير واقعية، إذ لم يتطرق أحد منهم إلى قضية الهزات الأرضية

* صحافي عراقي عضو الرابطة العربية للصحافيين العلميين والاتحاد الدولي للصحافيين العلميين

للألغام غير المنفجرة نتائج كارثية على العراق.. لا سيما على الزراعة والبنية التحتية

تعمل اللجنة الدولية على إيجاد حلول لنقص المياه

ICRC

المتوالية التي ضربت مناطق في مدن **كركوك** شمالي البلاد و**العمارة** في جنوبها، في الأشهر الماضية، وتباينت درجات قوتها على مقياس **ريختر**.

وهنا يقول النائب **محمود عثمان**، وهو قيادي كردي بارز واكب العملية السياسية في العراق منذ نيسان/ أبريل 2003، عن جفاء السياسيين لقطاعات الحياة الأخرى: «**لا أحد يبالي بمثل هذه الأمور. الكل مُنشغل حتى النخاع بالمعضلة السياسية**». ويضيف **عثمان**: «**خلال حضوري لعدد من الاجتماعات السياسية، وهي كثيرة بطبيعة الحال، لم أسمع أي سياسي أو رئيس كتلة أو مسؤول تنفيذي تطرق إلى مشكلة بيئية أو مناخية أو أي شيء من هذا القبيل، بل معظم وقت تلك اللقاءات يخصص للبحث في النزاعات السياسية**».

ورغم تداخل وارتباط السياسة بالبيئة التي «**تتطلب بعض قضاياها قرارات عليا**»، كما يقول وزير البيئة **سركون صليوه**، «**إلا أن الخلافات السياسية المتكررة أبعدت أنظار القادة وصرفت اهتمامهم عما تعرضت له البلاد خلال العقد الأخير من كوارث طبيعية تتطلب جهودًا حثيثة لمعالجتها وليس الاكتفاء بمتابعتها عن بُعد بينما هي تستفحل.**»

ومن أكثر المشاكل البيئية المستفحلة خلال السنوات العشر الأخيرة، ظاهرة العواصف الترابية المطردة في شدتها وعديدها وأمدها الزمني، سيما وأنها أخذت تضرب عموم مناطق البلاد عامًا بعد آخر، بل شهرًا بعد آخر.

هذه العواصف المزعجة، والتي تتسبب في مقتل العشرات سنويا، ناجمة عن الجفاف الذي تعرضت له مساحات واسعة من الأراضي الزراعية في محافظات **نينوى** و**كربلاء** و**ديالى**، ما أدى لتحولها إلى مناطق صحراوية، فضلاً عن المراعي والبساتين الخضراء التي تحولت، هي الأخرى، إلى أراض جرداء. كما أن تفاقم هذه الظاهرة يعود إلى أسباب مناخية تعاني منها دول المنطقة بصورة عامة.

ومن الكوارث البيئية التي يعاني منها العراق، التراجع المطرد في موارده المائية الذي أدى إلى تقلص مساحاته الزراعية، وزيادة ملوحة مياهه سيما في المناطق الوسطى والجنوبية، جراء عدم التزام الدول المتشاطئة بإطلاق حصص كافية من مياه نهري دجلة والفرات، أو قطعها الروافد النهرية وتحويل مجراها قبل دخولها الأراضي العراقية، أو إقامة المزيد من السدود الكبيرة، وهو ما يهدد الأمن المائي العراقي بالخطر.

كما تعاني البيئة العراقية من جرح نازف آخر يعود لعشرات السنين من النزاعات المسلحة. إذ تقدر وزارة البيئة العراقية عدد الألغام غير المنفجرة في العراق بحوالي 20 مليون لغم، وهو ما يعادل ربع عدد الألغام في العالم كله. ولهذه الألغام غير المنفجرة نتائج كارثية على البلاد لا سيما على قطاع الزراعة وعلى مشاريع البنية التحتية. هذا وتشير تقارير ودراسات موثقة عن ارتفاع نسب التلوث الإشعاعي الناجم عن العمليات العسكرية لحربي الخليج الأولى والثانية، في ما يعتقد أنه نتيجة لاستخدام أسلحة تحتوي على اليورانيوم المنضب.

ومع جملة الانتقادات تغيب علامات التفاؤل لجهة إيلاء الحكومة اهتمامات أكبر بهذا القطاع، وهنا يختم الصحفي المتخصص بشؤون البيئة حديثه بالقول: «**لا توجد مؤشرات إيجابية تدعو إلى التفاؤل طالما استمر الصراع السياسي**»، مشيرًا إلى أن إعلان المؤسسات الحكومية عن الاهتمام بهذا القطاع المهم «**مجرد شعارات**»■

يانس – مارتن مهلر*

المهمة الأولى كالحب الأول

عشر سنوات من العمل كمندوب مع اللجنة الدولية للصليب الأحمر تركت أثرًا كبيرًا على حياة يانس-مارتن مهلر وعلمته الكثير عن الحياة والبشر والثقافات المختلفة التي وجد نفسه في مواجهتها. والأهم أنها علمته الكثير عن نفسه.

ICRC

ICRC

في أحد الأيام، خلال زيارتنا لسجن أبو غريب، بدأ القصف. احتميت في أحد الملاجئ، فإذا بي أجد نفسي مع مجموعة من الجنود الأمريكيين. سألني أحدهم، ربما كان عمره 20 عامًا– جيل ألعاب الفيديو–: "**من أي بلد أنت؟**". أجبته: "**ألمانيا**". فقال لي: "**أنتم الألمان، تكنون لنا مشاعر الكراهية**". فقلت له: "**لماذا تقول ذلك؟**" أجاب: "**أنتم لم تذهبوا معنا للقتال في العراق**". قلت مداعبًا: "**نعم، بالطبع. إذا قلت إن ألمانيا تذهب إلى الحرب، فهذا خطأ، وإذا قلت إن ألمانيا لا تذهب إلى الحرب، فهو أيضًا خطأ**". فضحك.

في ألمانيا الغربية، خدمت سنتين في الجيش كراصد مدفعية. وكان ذلك في توقيت غريب، إبان الحرب الباردة، حيث كان الجيشان يتأهبان لمنع وقوع شيء ما. وكان الجانبان يمتلكان السلاح النووي. فمن يطلق النار أولًا – يموت ثانية.

يعد أداء الخدمة العسكرية تجربة مفيدة بالنسبة لمندوب اللجنة الدولية. فبالرغم من عدم مشاركتي في أي قتال طوال حياتي، إلا أنني كنت قادرًا على مخاطبة العسكريين بلغتهم نفسها، وأدرك أنهم غالبًا ما يوجدون في ساحات القتال ليس بسبب رغبتهم في ذلك، بل لأنه جرى إرسالهم إلى هناك.

أداء الخدمة العسكرية تجربة مفيدة لمندوب اللجنة الدولية

أثناء حديثي ذات يوم مع ضابط في المخابرات الأمريكية، سألني: «**كيف يمكن لضابط سابق بالمدفعية أن يعمل اليوم مع اللجنة الدولية؟**». قلت له: «**اللجنة الدولية كانت دومًا قريبة من الجيش، فهي خرجت للنور في ميدان المعركة، ومن هنا جاءت رغبتها في مساعدة الجنود أو غيرهم ممن يعانون من ويلات الحرب، وهو أمر منطقي تمامًا. وتمثل نشأة اللجنة الدولية في ظل هذه الظروف سندًا قويًا، عادة ما تلقى قبولًا في نفوس العسكريين**».

عندما تتولى مثل هذه المهام، يتعين عليك وضع مشاعرك جانبًا. فعندما تجلس إلى أحد ضحايا التعذيب، وتصغي لروايته، عليك إبداء تعاطف معه من ناحية، وأن تعرض الأمر على

* Jens–Martin Mehler منسق أنشطة الحماية في اللجنة الدولية في شمال القوقاز

السلطات المعنية من الناحية الأخرى، بشكل دقيق لا تشوبه انفعالات لا لزوم لها، حتى تبت هذه السلطات في الوضع، وتتخذ التدابير اللازمة، أو تتم معاقبة مرتكب الجريمة. رأيت بكاء مندوبين بعد زيارة المحتجزين، وذلك أثناء توليهم أول مهمة لهم. وهو ما لا يمكنك فعله في وجود المحتجزين، إذ ينبغي ألا تزيد الطين بلة، وتشعرهم بمدى سوء أوضاعهم. ذلك يجعلك تكتشف لديك قدرات لم تكن تعرفها عن نفسك، وأنك تستطيع التعامل مع أشد المواقف.

في صباي، كنت مبهورًا بقصص المغامرات التي كتبها الألماني **كارل ماي** في القرن التاسع عشر عن الإمبراطورية العثمانية. والغريب في الأمر أنها كانت، إلى جانب رغبتي في أن أصبح مراسلًا للشؤون الخارجية، سببًا وراء خياري. وبدأت في دراسة اللغة والثقافة العربيتين، وقضيت فترة في دمشق من أجل ممارسة اللغة.. دمشق تلك المدينة الرائعة المعبقة برائحة التاريخ، حيث تجد نفسك تعبر قرونًا عديدة، أثناء تنقلك بين جوانبها. فالتاريخ يمثل أمامك في الشرق الأوسط، أكثر من أي مكان آخر في العالم.

ذهبت للمرة الأولى إلى **غوانتانامو** في تشرين الثاني/ نوفمبر 2002، كمترجم للغة العربية لطبيب كان يتولى فحص المحتجزين. ولم تسبق لي زيارة سجن قبل ذلك، كما لم تكن لدي أية خلفية عما يمكن أن أراه. كان شاغلي الأكبر هو كيفية ترجمة الأسئلة التي يطرحها الطبيب بشكل دقيق. ففي حياتك اليومية، لا تسأل الناس، عادة، إذا ما كانت راودتهم يومًا ما أفكار في الانتحار، أو أسئلة أخرى من هذا القبيل.

في البداية، قرر بعض المندوبين العمل طوال اليوم بدون تناول وجبة الغداء. فحذوت حذوهم خلال شهري الأول، واكتفيت بتناول قطع من الشوكولاتة. لكننا كنا نعمل في منطقة الكاريبي الجافة، حيث كانت درجة الحرارة تتعدى 30 درجة مئوية، وإذا لم تتناول غداءك أو تشرب الماء بشكل منتظم، فإنك تفقد قواك كاملة في نهاية اليوم.

كانت أول مهمة فعلية لي في **غزة**، حيث كنت أعمل مترجمًا لمندوب أثناء زيارته للمحتجزين في السجون الفلسطينية. إنه عمل ممتاز، كل ما يمكن أن تحلم به: تطبيق ما تعلمته أثناء دراستك الجامعية، والاستفادة من خبراتك المتراكمة مع وجودك الدائم في قلب الأحداث، بالرغم من تطاير الصواريخ والطلقات النارية فوق رأسك في بعض الأحيان.

المهمة الأولى كالحب الأول، يربطك بها رباط خاص. وتعد **غزة** من المناطق الخطرة، حيث تصل مدة المهمة التي يمكنك توليها هناك إلى تسعة أشهر، إلا أنني أمضيت هناك 15 شهرًا، ورأيت كيف يعمل الفلسطينيون في اللجنة الدولية بكل تعاطف وتفانٍ بسبب وجود أزمة وشعورهم بأنه يمكنهم فعل شيء على الأقل لتحسين الأوضاع.

قبل أن ألتحق باللجنة الدولية، كنت أعمل لحسابي الخاص كمراسل تليفزيوني خلال حرب الكويت. وهناك أدركت أن مهنة الصحافة لا تناسبني. كمؤرخ، لم أكن أشعر بالارتياح أمام المحاولات التي تُبذل من أجل ضغط أي موضوع يقدم على الهواء، بحيث لا يستغرق أكثر من أربع دقائق. بالنسبة لي لا ينبغي تبسيط التاريخ بهذه الطريقة، لا يمكنني فعل ذلك. وهناك أمر آخر ـ الصورة في الصحافة التليفزيونية أكثر أهمية من الكلمات، إلا أنه لا يمكنك الاكتفاء بالصورة لتفسير كل شيء.

في **غزة** كنت ألقي محاضرات قصيرة عن تاريخ المنطقة للمندوبين. لكي تفهم الأحداث الجارية عليك أن تعود إلى ما حدث في العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين. وقد يكون من الأفضل أن نعود أكثر إلى الوراء، إلى الحرب العالمية الأولى، وجذور القومية العربية في الإمبراطورية العثمانية، إلى **لورانس العرب**، والملك **فيصل** الأول ملك العراق. في ذلك الزمن بدأت كل المتاعب.

الصور النمطية والتعميمات أكاذيب غير مجدية

عُرض علي الذهاب إلى العراق في مهمة في العام 2005 . لم يكن الذهاب إلى العراق في هذا الوقت من الأمور المرغوبة، إذ كان التمرد والقتال حينئذ على أشدهما. كنا نسافر جوًّا مرتين في الشهر من **عمّان** إلى العراق لزيارة المحتجزين العراقيين في معسكرات الاحتجاز الأمريكية. وكنا نعمل في المساء، وتحت جنح الليل (من السابعة مساءً إلى الواحدة صباحًا). ففي الصحراء كانت درجات الحرارة تتخطى الـ 60 درجة مئوية في النهار، أي أنه من المحتمل أن تسقط ميتًا بسبب الحرارة. وكانت هذه الزيارات تُجرى في الهواء الطلق. فالأمريكيون كانوا يعتقدون أن من شأن ذلك أن يحول دون أي محاولة لأخذ أي مندوب كرهينة. كنت أقف وسط ما يقرب من 500 محتجز تجمعوا حولي، وكان أول شيء يرغبون بمعرفته هي الأخبار. سواء كنت على علم بشيء أو لم تكن، كان عليك أن تخبرهم بشيء: متى ستنتهي الحرب؟ متى سيجري نقلهم أو إطلاق سراحهم؟– مثلا.

في إحدى المرات، سمحت لنا سلطات السجن في **غوانتانامو** بالتقاط صور للمحتجزين لإرسالها إلى أقاربهم مع رسائل اللجنة الدولية. بعض الأسر لم تر أحباءها منذ ستة أو سبعة أعوام. كنت أحمل شخصيًّا آلة تصوير، وألتقط بعض الصور. وكان بعض المحتجزين يهتمون بترتيب الملابس التي يرتدونها، في ما كان البعض الآخر لا يعبأ بذلك، ولا يجري أي استعدادات خاصة قبل التصوير. وكان منهم من يسأل إذا ما كانت هناك مرآة لكي يروا كيف سيبدون في الصور. إلى حد ما، تعد هذه الصور بمثابة تسجيل لكونهم «على قيد الحياة»...

لماذا أؤدي هذا العمل؟ من المهم أن ترى ثقافات أخرى وبلدانًا أخرى، وأن تمد يد العون للغير. والميزة الأخرى هي أن تكون في قلب الحدث، وهو الحلم القديم الذي يداعب خيال الصحافي: أن يكون في البؤر الساخنة، حيث تدور الأحداث، حيث يصنع التاريخ، وهي فرصة نادرة. علاوة على ذلك، فإن حياة المندوب تكون مقبولة بشكل عام، وليست كالحياة التي يحياها الجندي في الخندق.

أعمل مع اللجنة الدولية منذ حوالي عشر سنوات، ولطالما تنقلت من بلد إلى آخر ومن مهمة إلى أخرى. يقول لي أصدقائي القدامى في ألمانيا إنهم لا يستطيعون القيام بما أقوم به. وعلى الجانب الآخر، أنا لا أستطيع أن أحيا حياة طبيعية، وأن أعمل من التاسعة صباحًا إلى الخامسة مساءً، فهذا أمر ممل، إلا أن تعريف مفهوم «الحياة الطبيعية» بات في طور التغيير، فهناك ثلاث ساعات من الطيران تفصل بينك وبين بلدان وثقافات مختلفة، لذلك فإن التشبث بجنسية واحدة ومذهب واحد أمر يبدو غريبًا بالنسبة لي.

أدركت أيضًا أن كل شخص لديه أسباب وجيهة للقيام بما يقوم به. وهنا أشير للزملاء كما للحكومات على حد سواء. فالصور النمطية والتعميمات غير مجدية. إنها ليست سوى أكاذيب.

أتذكر جيدًا صوت إغلاق أبواب السجن ورائي عندما خطوت خارج أحد مراكز الاحتجاز. ففي كل ليلة أخرج فيها من السجن، كنت أشعر بالارتياح بلا أي شك. فنحن جميعًا بشر. وعلى أية حال فإن الخروج من هذا المكان أثناء الليل يجعلك تشعر بسعادة لم تكن تعرفها قبل خمس دقائق فقط. ولكنني، مع ذلك، على استعداد دائمًا لتكرار زيارة المحتجزين في أي مكان من العالم ■

تحديات ومخاطر تواجه «فرسان» الرعاية الصحية

مضت 100عام بالتحديد على إنشاء اللجنة الدولية وسام فلورانس نايتينغيل، وهو أعلى تكريم دولي يمكن أن يمنح إلى المرضين والمرضات. وفي هذا الحوار، تصف فيليبا باركر، المرضة التي تعمل منذ وقت طويل مع اللجنة الدولية في الميدان التحديات التي تواجه المرضين اليوم في البلدان المنكوبة بحالات العنف المسلح.

فيليبا باركر هي اليوم رئيسة قسم الصحة في اللجنة الدولية. وتشارك باركر عن كثب أيضًا في مشروع «الرعاية الصحية في خطر» الذي تنفذه اللجنة الدولية، ويرمي إلى الحد من التهديدات المحدقة بالرعاية الصحية في النزاعات المسلحة وحالات الطوارئ الأخرى لا سيما مع تزايد حالات انعدام الأمن التي تعيق تقديم خدمات فعالة في مجال الرعاية الصحية.

■ **لماذا تعتقدين أن «فلورانس نايتنغيل» ما زالت تُذكر إلى اليوم، بعد مرور أكثر من قرن على وفاتها؟**

أظن أن الأمر يعود إلى إنسانيتها وقناعتها بأنه كان عليها القيام بأمر ما تجاه الجنود الجرحى، ولأن أحدًا لم يكن يبذل، على ما يبدو، الكثير من أجلهم. فالحرب فظيعة للغاية، ومجرد المعرفة بوجود شخص يهتم بالآخر إنما يعني الكثير. ونظرًا لقلة التدريب في مجال التمريض آنذاك، علّمت **فلورانس** في الواقع نفسها بنفسها.

وما يلهمني هو حسها العميق في الرعاية والإنسانية، وأعتقد أن الكثير من الأشخاص العاملين في مهنة التمريض يشاطرونني الرأي. فعملها حسّن وضع المرضين وتدريبهم، وربط على نحو وثيق التمريض بالرعاية المعمقة والمساندة للمريض، والاعتراف بأهمية دور المرضين، ولا سيما في حالات النزاعات المسلحة وغيرها من حالات الطوارئ.

فلنذكر على سبيل المثال **خليل دالي** (وهو ممرض كان يملك خبرة 30 عامًا في مجال الخدمة الإنسانية، ويشرف على برنامج مساعدة الجرحى المصابين بالسلاح في **كويتا**، باكستان، عندما اختُطف واحتُجز لأربعة أشهر وقُتل مؤخرًا). فكان **خليل**، على غرار **فلورانس نايتينغيل**، شخصًا يعنيه إلى حد كبير ما يحدث للآخرين..

ونجد حالات أخرى لمثل هذه الرعاية في مستشفى اللجنة الدولية في **بيشاور** (باكستان) وفي مستشفى **مرويس** في **قندهار** (أفغانستان)، كما في مستشفيات كثيرة أخرى في مختلف أرجاء العالم. لا يمكننا القياس على ذلك، ولكن جانب الرعاية من عملنا في تلك المستشفيات يترك أثرًا عميقًا. ودعوني أعطي مثالًا لتوضيح هذه النقطة. أتى أحد الرجال من المناطق القبلية الخاضعة للإدارة الاتحادية في باكستان بزوجته وأطفاله الجرحى، وبقي في مستشفى **بيشاور** طوال أسبوعين. لماذا يأتون إلى مستشفانا؟ صحيح أن هذا المستشفى مجاني، ولكن الأهم هو أننا نقدم العناية اللاحقة للعملية الجراحية. لا نملك المعدات المتطورة الموجودة في بعض المستشفيات الأخرى في **بيشاور**. ولكننا، نستطيع تقديم الرعاية اللاحقة للعمليات الجراحية، ورأى هذا الرجل أشخاصًا يعتنون حقا بأسرته. وهو يعود إلى قريته وقد أصبح فهمه واحترامه لعملنا (أي للجنة الدولية) أفضل مما كان عليه في الماضي.

نحن نملك حتى أدلة قوية في هذا الشأن. إذ أجرت اللجنة الدولية في العام 2003 في المنطقة الحدودية بين أفغانستان وباكستان، استقصاء سريعًا يتعلق بسمعتنا. وبما كانت تُذكر اللجنة الدولية؟ كان الجميع يتذكر مستشفياتنا في **كويتا وبيشاور وكارتي سيه**.

■ **تلقيت وسام «فلورانس نايتينغيل» في العام 1993. ماذا يعني لك هذا التقدير؟**

يجب أن أعترف بأنني أعتقد بأن هذا الوسام عني لأهلي أكثر مما عني لي (تقول ذلك وهي تضحك)، ولكنني أقولها بكل جدية: إنه كان تقديرًا للعمل الذي كنت أقوم به منذ العام 1984. ففي العام 1993، كنت قد أمضيت فترة من الوقت في العمل خلال النزاع على الحدود بين تايلاند وكمبوديا، وعملت في أفغانستان، وباكستان (في **بيشاور**، و**كويتا**)، وفي **بربرة** في الصومال. وهذا يعني أن أحدًا رأى أني أنجزت شيئًا يتخطى ما تقوم به المرضة عادة.

وما كان مهمًا أيضًا بالنسبة لي هو الاعتراف بأن ممرضة تستطيع أن تقدم إلى المريض رعاية غالبًا ما لا يمكن لأي فرد آخر من الطاقم الصحي تقديمها. فأنت تساند المريض دومًا، وتكون دائمًا بجانبه. الطبيب الجراح يجري عمليته ويذهب، والأمر عينه بالنسبة إلى طبيب التخدير، والاختصاصي في العلاج الطبيعي يرى المريض ويفحص مثلًا ساقه اليسرى ثم يذهب، أما نحن -المرضين- فمن حسن الحظ أننا ننظر إلى المريض ككائن واحد، ونبني علاقة فعلية معه.

أعتقد أن الوسام يساعد في إعطاء دور

ICRC

فيليبا باركر تتوسط زميلتين لها

الرعاية هذا الثناء الذي يستحقه، لأنه يلعب دورًا كبيرًا في علاج المرضى. صحيح أننا لا نجري العمليات الجراحية، غير أن دورنا مهم للغاية. فهو دور إنساني يستند إلى علاقة مباشرة بين شخصين.

لا أظن أنني أملك شجاعة استثنائية؛ لكنني كنت ببساطة أحب العمل الذي أقوم به. أحببت ما كنت أقدمه فعلًا من مساعدة وكنت سعيدة بقدرتي على القيام بعمل يكون له أثر مباشر على الناس.

■ ما هي أهم التحديات التي يواجهها اليوم الممرضون ومساعدوهم الذين يعملون في البلدان المنكوبة بالعنف المسلح؟

التحدي الرئيسي الذي يواجه ممرضي اللجنة الدولية بشكل مباشر هو انعدام الأمن. فغياب الأمن هو التحدي الأكبر سواء كنت داخل المستشفى أو في الميدان، أو تحاول تنفيذ حملات تطعيم، أو أي شيء آخر. وهذا هو سبب الخطر الذي يهدد السلامة الشخصية، وسبب انعدام الأمن الذي يعانيه المرضى الذين يحاولون الوصول إليك، وأحيانًا انعدام الأمن في المستشفيات أو المراكز الصحية. وغالبًا ما يكون هنالك افتقار إلى البنية التحتية والإمدادات بسبب حالة انعدام الأمن بصورة عامة.

أما بالنسبة للممرضين أو مساعديهم من مواطني البلد، والذين يعيشون ويعملون في بلدهم ، فينشأ أيضًا التحدي من كل الأمور الأخرى التي يضطرون لمواجهتها في حياتهم اليومية من أجل مجرد البقاء على قيد الحياة ومزاولة عملهم في الوقت عينه. فهم قلقون مما يمكن أن يصيب أسرهم، ويسألون كل يوم إذا ما كان لدينا ما يكفي من الطعام، أو هل علينا تأمين المياه اللازمة؟. فالتحدي بعينه هو أن تكون قادرًا على الالتزام بمهامك عندما يتعين

عليك مواجهة كل التحديات الخارجية الأخرى.

وثمة تحد آخر يتعلق ببعض النزاعات الداخلية اليوم، وهو عدم الوضوح في تحديد خطوط المواجهة الأمامية، وفي التعرف على أطراف النزاع، وهو أمر لم يكن موجودًا في أيام **فلورانس نايتينغيل**. ومن الأصعب بكثير، مقارنة بما كان يجري في الماضي، أن تثبت في النزاعات الحالية أنك شخص محايد ومستقل تعمل في المجال الإنساني فحسب، لأن للنزاعات مستويات متعددة وهي معقدة للغاية، وكل ذلك يضاعف من المخاطر.

فلننظر إلى سياقات معينة نعمل فيها اليوم. إذا كنت أعمل في منطقة محددة، يمكن أن يكمن الخطر في اعتباري جزءًا من المجموعة التي تسيطر على تلك المنطقة. وإذا انتقلت إلى منطقة أخرى، قد يُنظر إلي بأنني أنتمي إلى الطرف الآخر، بينما تتغير السيطرة على المناطق في كل يوم. فاليوم يستطيع أفراد الطواقم الطبية التابعة للجنة الدولية التوجه إلى هذا المكان، ويعجزون عن ذلك في اليوم التالي، لأنه أصبح تحت سيطرة الطرف الآخر.

■ هل تتذكرين حدثًا كان جزءًا من تجربتك الشخصية أو مثلًا لعمل قام به ممرضون في حالة عنف مسلح وكان له أثر فيك؟

يجب، قبل أي شيء آخر، أن يدرك الناس أن شدة الجراح وطبيعتها الوحشية في حالات العنف المسلح يشكلان صدمة للجميع، لا سيما حين يبدأ وقوع الإصابات.

أتذكر أنني كنت في **كابول** (أفغانستان) في العام 1989 في وسط المدينة عندما بدأ القصف. ماذا عساك أن تفعل حينئذ؟ تدخل إلى داخل متجر، ثم تخرج منه، فترى كل زجاج السيارة (سيارة «لاند روفر» تابعة للجنة الدولية) محطمًا، فتفكر قائلًا في نفسك: «**رباه، سأواجه المتاعب الآن**». غيوم الغبار تحيط بك من كل صوب وتنظر إلى الشارع، فترى جثثًا في كل مكان. وفيما تحاول استيعاب ما حدث، ترى حوالي ثمانية أشخاص يتوجهون نحوك مترنحين، وكلهم ينزفون، وهم يريدون بالطبع الدخول إلى السيارة، والذهاب إلى المستشفى. فتساعدهم على الركوب وتقلهم إلى المستشفى. ولكني لم أنظر أبدًا إلى الأشخاص الذين كانوا ممددين في الشارع. أما اليوم فربما كنت سأنظر إلى الأشخاص في الشارع، ولكن يومها لم أفعل ذلك، ولم أفكر يومًا إن كان ذلك جيدًا أو سيئًا. تكون خائفًا ويكون لديك أكثر مما يكفي من المرضى لملء سيارتك. ولا تعرف ما سيحدث لاحقًا، لذا تكتفي بنقل المرضى إلى المستشفى. تعلم أننا في اللجنة الدولية نقدم تدريبًا على الإسعافات الأولية، ونعلم المشاركين قواعد الفرز (فرز المرضى لتحديد الأولوية الطبية)، ولكن الواقع يعلمك أنك لا تستطيع، في مثل هذه الحالات القاسية للغاية، اتباع الإجراءات التي تعلمتها، أو أنك لن تتبعها لأي سبب من الأسباب، بل تقوم فقط بأفضل ما بوسعك.

فلورانس نايتنغيل

■ كيف ترين الرابط بين رؤية «فلورانس نايتينغيل» وإرثها وحملة «الرعاية الصحية في خطر» التي أطلقتها اللجنة الدولية؟

يكمن هدف مشروع «الرعاية الصحية في خطر» في ضمان الأمن والفعالية في تقديم خدمات الرعاية الصحية أثناء النزاعات المسلحة وحالات الطوارئ الأخرى. وما أنجزته **فلورانس** مهّد الطريق لتقديم الجانب المتعلق بهذا الهدف وركز على الجانب المحايد وغير المتحيز المتصل برعاية المرضى والجرحى.

أنت تعتني بالمرضى والجرحى مهما كانت هويتهم، ومهما كان الطرف الذي يؤيدونه. هذا هو الواقع ويكفي القول أن عليك تنفيذه ■

قرن من التميّز في مجال التمريض

أنشأت اللجنة الدولية وسام فلورانس نايتنغيل قبل قرن من الزمان تحديدًا. وهو أعلى وسام دولي يمكن أن يُمنح للممرضين والممرضات. ويأتي اليوم الدولي للممرضين والممرضات في 12 أيار/مايو من كل عام وهو التاريخ الذي يوافق ذكرى ميلاد فلورانس نايتنغيل. تلقي مجموعة الصور نظرة على قرن مضى من التميز في مجال التمريض في جميع أنحاء العالم.

1

2

3

4

5

1 | سويسرا، 2003. جنيف. الفائزون بوسام فلورانس نايتنغيل يصلون إلى المقر الرئيسي للجنة الدولية لاستلام جوائزهم

2 | الاتحاد السوفيتي، 1975. في. آي. سموخا، رئيس اللجنة المركزية للصليب الأحمر في بيلاروس يقدم وسام فلورانس نايتنغيل إلى إيكاترينا إيفيموفنا، إحدى الممرضات المتميزات في الاتحاد السوفيتي.

3 | بوليفيا، 1986، لاباز. دونا فرانسيسكو نيتو باندو، الحاصلة على وسام فلورانس نايتنغيل

4 | المقر الرئيسي للصليب الأحمر الإيطالي. مراسم الاحتفال بمنح وسام فلورانس نايتنغيل: الملكة أثناء حضورها حفل التكريم الذي أقيم في 31 أيار/ مايو 1930. قلدت الملكة خلال الحفل الدوقة إليزابيثا سيتو توريكوسا وسام فلورانس نايتنغيل

6 |

7 |

8 |

5 | باكستان، 1977. احتفال خاص لمنح وسام فلورانس نايتنغيل. بيغام ممتاز تشوغتاي، ضابط طبيب في القوات المسلحة الباكستانية، يتلقى الوسام من الرئيس الباكستاني.

6 | كوريا الجنوبية، 1983. مراسم الاحتفال بمنح وسام فلورانس نايتنغيل. منح الوسام للممرضتين الدكتورة سان- شو وكايوم- جا جيون

7 | أستراليا، 1983. كانبيرا، مقر الحكومة. مراسم الاحتفال بمنح وسام فلورانس نايتنغيل. رئيس الصليب الأحمر الأسترالي، السيدة ستيفن، تقلد الوسام للقبطانة أليزا بيتي إدواردز.

8 | الفلبين، 1977. جوانا بكتات، واحدة من اثنتين حصلتا على وسام فلورانس نايتنغيل، تتسلم جائزتها

العراق: إعانة النساء على بناء مستقبلهنَّ بأنفسهنّ

تُعدُّ النساء، في الغالب، من بين الفئات الأكثر ضعفًا في العراق. لكنَّ العراقيات يمتلكن قوة تجعلهن يحملن على عاتقهن مسؤولية إعالة أُسرهنَّ، ويُكرِّسن حياتهنَّ للتخفيف من معاناة الآخرين. في ما يلي 4 شهادات لعراقيات قدمت اللجنة الدولية لهن الدعم في كفاحهن من أجل تأمين مستقبل تُصان فيه كرامتهنّ.

تعمل برزين، (23 عاما)، أخصائية في العلاج الطبيعي في مركز الأطراف الاصطناعية الذي تديره اللجنة الدولية للصليب الأحمر في **أربيل** منذ نيسان/أبريل 2010، وهي تساعد المعاقين على استئناف حياتهم الطبيعية بعد تركيب أطراف صناعية لهم. عن عملها تقول: «**أحبُّ عملي وفخورةٌ بما أقوم به**». وتؤكد: «**الإعاقة الجسدية لا تجعل المعاق أقلَّ من غيره من البشر**».

بعد تخرُّجها في المعهد الطبي التقني في **أربيل**، تعمل **برزين** على تقديم العلاج إلى ما بين 30 و35 من النساء والأطفال أسبوعيًا، وتساعدهم على تعلم كيفية المشي بساق صناعية أو باستخدام الكرسي المتحرك. تقول **برزين**: «**هناك جانب إنساني في عملي. ومساعدة المعاقين على ممارسة حياتهم على الوجه الأكمل عملٌ مجزٍ للغاية، كما أنَّ بيئة العمل يسودها الودّ. لذا، أتمنى أن يطول بقائي في تقديم المساعدة للمعاقين**».

إيمان: أصبحت أكثر استقلالا

إيمان أمٌّ لسبعة أطفال، غدت أرملة بعد اختطاف زوجها ثم قتله في العام 2007. وعلى الرغم من تلقيها دعمًا كبيرًا من جيرانها وحصولها على وظيفة عاملة نظافة، فقد عانت من المصاعب الاقتصادية والاجتماعية، التي تواجهها المرأة عندما يكون عليها أن تتحمل بمفردها مسؤولية تربية أبنائها وإعالة أسرتها.

تقول **إيمان**: «**أريد لأولادي أن يتعلموا ويحصلوا على وظائف جيدة**». وبعد أن تمكنت بمساعدة من اللجنة الدولية من فتح دكان صغير في منطقة **الدورة**، التي انتقلت إليها بعد وفاة زوجها، توضح: «**أستطيع الآن تأمين الاحتياجات الأساسية لأسرتي**». وتضيف: «**أشعر بأنني أصبحت أكثر استقلالاً، ولم أعد مضطرة إلى الاعتماد كليًا على والديَّ أو على عائلة زوجي**».

بالمال الذي تكسبه، تأمل إيمان في أن تؤمِّن المستقبل الذي تحلم به لأولادها: «**أريد أن أقول لكل امرأة معيلة أنه حتى وإنْ أصبحتِ وحيدة، عليكِ أن تثقي بنفسكِ وبقدرتكِ على إعالة أسرتك**».

زينب: مشروع غيّر حياتي

فقدت **زينب** ساقها اليسرى في العام 2003 بعد سقوط صاروخ على السوق الذي كانت تتبضع منه. بعد ذلك هجرها زوجها بسبب إعاقتها، وتُركت **زينب** وحيدة مع ابنتها ذات الاثني عشر ربيعًا. كان عليها الاعتماد على والديها، اللذين كانا بالكاد يستطيعان توفير لقمة العيش. أما ابنة **زينب**، فقد اضطرت مؤخرًا إلى ترك الدراسة لرعاية والدتها.

وفرت اللجنة الدولية **لزينب** ماكينة خياطة وبعض المستلزمات كي تبدأ في خياطة العباءات. **زينب**، التي لم يسبق لها العمل من قبل، تشعر بامتنان كبير لإتاحة فرصة كهذه، وتقول: «**هذا المشروع غيَّر حياتي. أنا أشعر بالفخر عندما يرى الناس عملي**».

أصبحت **زينب** الآن أكثر استقلالية، وتأمل في توسيع دائرة زبائنها.

سميَّة: تطبيق مبدأ الإنسانية

تُقدِّم **سميَّة** الدعم النفسي لمرضى السرطان في مستشفى الطفل المركزي في **بغداد**، وتقول: «**أساعد الفئات الأكثر ضعفًا في المجتمع من خلال عملي مع جمعية الهلال الأحمر العراقي. أومن بشدة بمبادئ الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر، كمبدأ الإنسانية على سبيل المثال، إذ ينعكس على المرضى الذين أعمل معهم من خلال المشاركة الوجدانيَّة والتعاطف الذي أبديه تجاههم**».

وانطلاقًا من رغبتها القوية في تقديم المساعدة إلى من هم في حاجة إليها، بدأت سمية عملها متطوعة في جمعية الهلال الأحمر العراقي قبل أربعة أعوام. وشاركت في إحدى دورات الإسعافات الأولية التي نظمتها اللجنة الدولية لعدد من موظفي ومتطوِّعي الجمعية ■

برزين أخصائية العلاج الطبيعي تساعد مريضًا في مركز الأطراف الاصطناعية بأربيل

ICRC

الملف: عزيزي الأديب: إنها الحرب

قد تقتل الحرب كل شيء، لكنها -للغرابة- تمنح الحياة لشيء واحد هو الأدب. منذ فجر التاريخ، يحرص الإنسان على تدوين حروبه، وهو في الغالب يدون انتصاراته، متجاهلاً الهزائم. وكان النتاج كتابات على الكهوف أو المعابد، وملاحم قصصية وروايات وقصائد عظيمة أدخلت مؤلفيها التاريخ وأكسبتهم مجداً قد لا يزول. لكن ما الآثار التي تتركها الحروب في نفوس الأدباء الذين يعيشونها قبل أن يكتبوها؟ في هذا الملف، محاولة بسيطة للإضاءة على بعض من لغز العلاقة بين الأدب والحرب.

وهيبة صالح*

بداية التاريخ.. بداية الأدب:

أناشيد ومدائح

عرفت مصر القديمة الأعمال الأدبية المرتبطة بالحروب منذ عصر الدولة القديمة واستخدمها الفراعنة لتخليد ذكراهم وبث الخوف في قلوب أعدائهم.

منذ ظهوره على الأرض، قبل نحو أكثر من مليون عام وجد الإنسان نفسه في صراع مع الطبيعة ليحافظ على بقائه. وكان جادًا، ومجددًا، في صناعة أسلحته حتى تمكن من السيطرة على الطبيعة، ثم عرف الاستقرار وزرع الأرض وبنى المدن، فعرف الملكية. وبعد ذلك تحول صراعه مع بني جنسه، فبات تاريخ البشرية داميًا، ومليئًا بالحروب والصراعات.

بحكم موقعها الجغرافي، كانت مصر منعزلة، عزلة آمنة، عن العالم المحيط بها، فصحراء ليبيا كانت سدًا منيعًا لكل غارة من الغرب، ولم يكن لمصر أعداء يمتلكون أساطيل قوية تهاجم شواطئها الشمالية، أما من كانوا يعيشون على حدودها الجنوبية والشرقية، فقد كانوا أقل مدنية وقوة منها، في ذلك الوقت، بما لا يحتاج جهدًا لتأمينها.

وعرف المصريون القدماء الحرب، لأول مرة، عندما خاضوا ما يسمى بحروب الوحدة بين الشمال والجنوب، قبل بداية العصور التاريخية. واستمرت هذه الحروب فترات طويلة حتى تمكن الملك **نعرمر** حاكم القطر الجنوبي «**الصعيد**» من الانتصار على مملكة الشمال، وتوحيد القطرين. ومنذ ذلك التاريخ دخلت مصر التاريخ، أو ما يسمى عصر الأسرات، ووصلت إلى كمال نضجها في ظل اتحادها، فباتت تتمتع بالاستقرار الذي عرفته خلال الدولة القديمة.

وكان النظام الأخلاقي في المجتمع المصري القديم قائمًا على فكرة «**الماعت**»، إلهة العدالة، وهي تجسيد للحقيقة. وأطلق المصريون كلمة «**ماعت**» على فكرة توازن العالم كله، وتعايش جميع عناصره في انسجام، بما يعني أن هذا التفاعل بين القوى هو الذي يضمن نظام الكون.

هذا الاستقرار مكّن الدولة المصرية القديمة من الارتقاء في الطب والهندسة والكتابة، وهو ما جعلها مطمعًا للقبائل الرعوية على حدودها عدة مرات، فاضطرت إلى خوض ما تعتبره «حروبا عادلة» لتأمين حدودها، حتى أن الدولة المصرية كانت تبرر غزواتها التي تمت في عصرها الذهبي بأنها كانت لدرء المخاطر التي تحيط بها، حتى لا يتجرأ جيرانها على المملكة المصرية.

وطبقًا للنصوص المصرية الموجودة على جدران المعابد والمقابر وفي البرديات، لم تعرف مصر جيوشًا نظامية في عهد الدولة القديمة (2780 ق.م– 2230 ق.م)، كما جاء في نص **وني** كبير موظفي قصر الملك **بيبي الأول**: «**رغم أنني لم أكن سوى كبير موظفي القصر الملكي، ونظرًا لما اشتهرت به من حزم وصرامة، لم أكن أسمح لأي جندي بأن يتشاجر مع رفيقه أو يستولي على خبز أو نعل أي عابر سبيل، أو يسرق ملابس من مدينة أو يسلب عنزة من صاحبها، وكنت أقوم بالتفتيش على كل فرقة من الفرق العسكرية، وكنت أول من فتش عليها إذ لم يسبقني أي مفتش آخر**». وهذا النص يؤكد على الضوابط الأخلاقية التي كان يتحلى بها الجنود المصريون في مصر القديمة، عند دخولهم أية مدينة أخرى، فقد كانوا يتصرفون طبقًا لأخلاق **الماعت**، ولأنهم كانوا يؤمنون بأن حروبهم عادلة.

وعاشت الدولة المصرية القديمة مثلما تعيش الأمم المستقلة، لا تستحثها رغبة التوسع على حساب الآخرين، وكان الجنود المصريون حريصين على الوصول إلى حدودهم الطبيعية، فقط، ليأمنوا غزوات المعتدين، كما حدث في حرب التحرير التي قادها **أحمس** لطرد قبائل **الهكسوس** الغزاة من مصر، أو في فتوحات تأمين الحدود كفتوحات **تحتمس الثالث** ومعركة **مجدو**، وحرب **رمسيس الثاني** ضد **الحيثيين** في **قادش**.

وكان المصري القديم يسجل كل تفاصيل

AFP

(1) كان التاج وعليه الصل الملكي يعد كإلهة تحمى الملك
(2) هم الآسيويون
(3) من يسكنون بين نهر النيل والبحر الأحمر وهم العبابده والبشاريون الحاليين
(4) إلهة الحرب رأسها رأس أسد
(5) أى أن أوامره تكفي حينما لا يحارب بشخصه
(6) البوصة رمز الوجه القبلى، أما النحلة فهي رمز الوجه البحري

* باحثة ومفتشة آثار مصرية

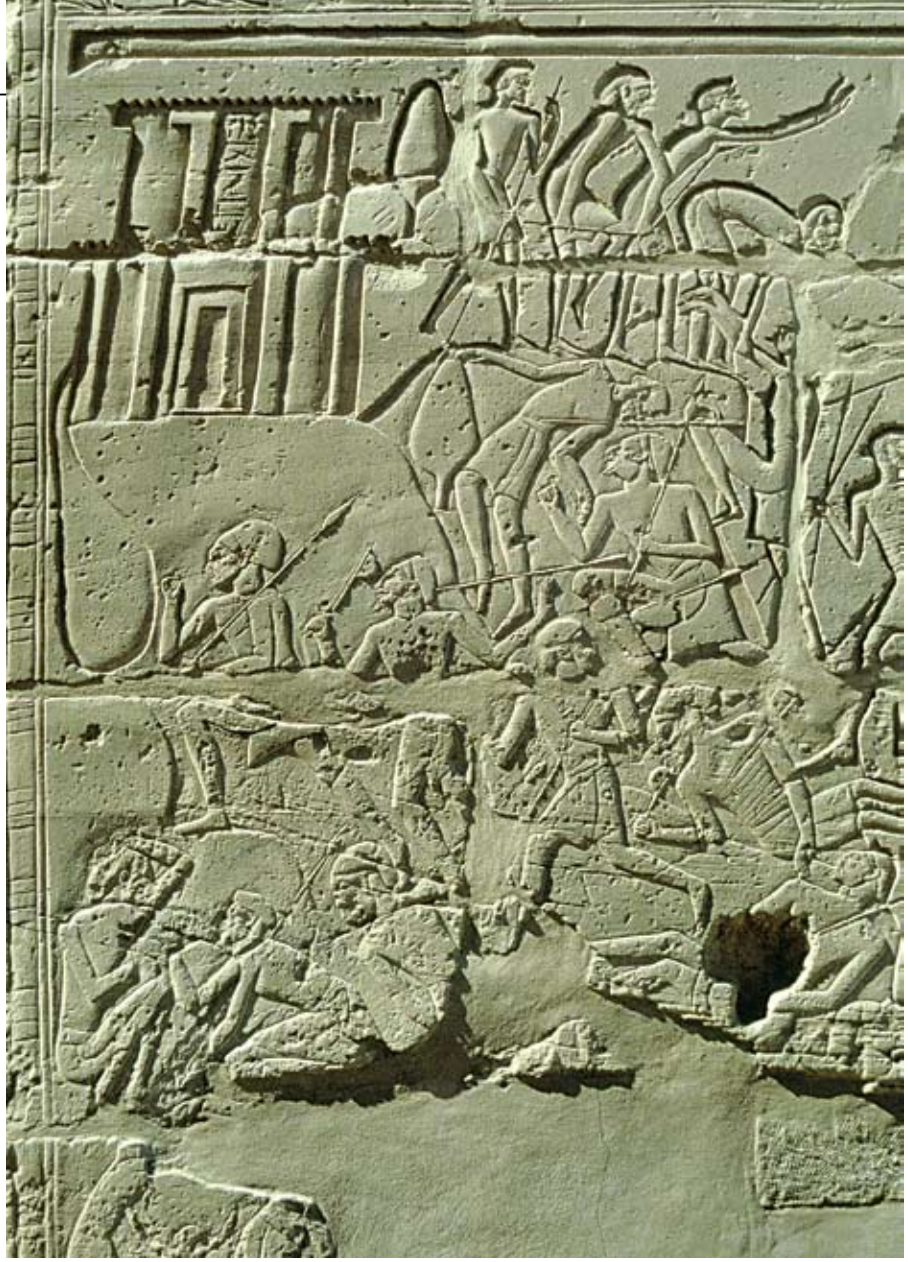

AFP

جدارية تسجل إحدى حروب المصريين القدماء

من مصر القديمة

حياته اليومية على جدران المعابد والمقابر، لذلك كان حريصًا على تسجيل الإنجازات العسكرية لجيوشه وانتصاراتها. وظهرت مع الانتصارات أدبيات المديح. ولكن أغلب ما وصل إلينا من المدائح الشعرية كان مقتصرًا على الإشادة بصفات الإله وقدرته، أو بوصف الملوك وما أتوه من ضروب الشجاعة وجلائل الأعمال. وأقدم ماوصل إلينا هو **أناشيد سنوسرت** التي تعود إلى الدولة الوسطى (2133 ق. م– 1786 ق.م)

الأنشودة الأولى:

الثناء لك يا (خا كاو رع)، يا «حو» يا صقرنا المقدس الوجود
الذي يحمى الأرض ويمد حدودها
الذي يقهر البلاد الأجنبية بتاجه[1]
الذي يضم الأرضين (مصر) بين ذراعيه
والذي يمسك الأراضي الأجنبية بقبضته
والذي يضرب رماة السهم[2] من غير عصا
والخوف منه أخضع «النو» في بلادهم[3]
هو الذي يفوق السهم كالإلهة «سخمت»[4]
وإن لسان جلالته هو الذي يحكم «نوبيا» (النوبة)[5]
ومن لا يجعل شعبه يدب فيه الوهن
بل يجعل الناس ينامون في أمان حتى مطلع الفجر
وشباب جنوده ينامون، لأن قلبه هو المدافع عنهم
وأوامره قد أقامت حدوده

الأنشودة الرابعة

لقد جاء إلينا ووحد الأرضين، وضم البوصة إلى النحلة
لقد جاء إلينا وجعل أهل مصر يحيون، ومحا آلامهم
لقد جاء إلينا وحمى حدوده،
لقد جاء إلينا وساعدنا على تربية أولادنا وعلى دفن المسنين منا

وخلال الدولة الحديثة (1567 ق.م– 1085 ق.م) اتسعت الحدود المصرية، فامتدت حدودها من الشلال الرابع على نهر النيل في السودان، إلى أعالي نهري دجلة والفرات، فصار خيال الشاعر لايقف عند الحدود المصرية الطبيعية بل أخذ يسبح في أرجاء تلك الإمبراطورية الفسيحة. ويتضح ذلك في تلك القصيدة المكتوبة في العام 1470 ق.م لمدح **تحتمس الثالث**، وهي منقوشة على لوحة في معبد الكرنك للإله **آمون رع** في استقبال الملك المنتظر **تحتمس الثالث:**

«إني أمنحك القوة والنصر على كل البلاد الجميلة
إني أمكن مجدك والخوف منك في كل البلاد
إنك تخترق كل البلاد الأجنبية بقلب منشرح
وأينما حلت جلالتك فليس هناك من مهاجم
إنك تعبر المنحنى الأعظم لبلاد ما بين النهرين بالنصر والقوة اللذين قد منحتهما إياك»

ونلاحظ ما في القصيدة من مبالغات خارجة عن المألوف كعادة ما نقرأه في شعر المديح، بشكل عام، ولكنها كانت في نظر المصري القديم من الشعر النموذجي، حتى أن بعض الملوك كانوا يقتبسونها وينسبونها إلى أنفسهم. وكانت هذه القصائد تكتب على لوحات وتنصب في البلاد التي يفتحها الملك حتى تثير الرعب في قلوب من تسول له نفسه على التمرد عليه أو اختراق حدود مملكته ■

الأدب في مواجهة الحرب:
أحياء إلى الأبد

قد يكون من الصعب إحصاء الأعمال الأدبية التي تناولت حروبًا غير أن دراسة سريعة لتطور هذا النوع من الأدب تظهر الدور البارز للأدباء والمثقفين في مناهضة الحروب من خلال كتاباتهم لا سيما في العصر الحديث.

ربما يمكن القول إن تاريخ أثر الحرب على الأدب، يعود إلى عصور ما قبل الميلاد. وعندما نبحث في أقدم نصوص الأدب العالمي، في الغالب نرى أن الحروب القومية والإقليمية لعبت دورًا مباشرًا في سرد الروايات الأدبية في تلك الفترة. وتعتبر ملحمة «**الإلياذة والأوديسا**»، للشاعر اليوناني «**هوميروس**»، واحدة من أبرز تلك الروايات الأدبية التي تتحدث عن عدد من الحروب التي وقعت في تلك الفترة الزمنية، ومن ضمنها «**معركة طروادة**». ولكن هذه الأمثلة تختلف كثيرًا عن الروايات التاريخية التي ظهرت في عصور ما بعد الحداثة.

ومن خلال البحث في الروايات الأدبية عن الحروب التي حدثت قبل ميلاد **المسيح** عليه السلام وما بعده، وأيضًا في فترة ما قبل الحداثة، نستنتج أن أغلبها يحاول خلق بطولات وهمية وأسطورية تصلح لأن تكون قصصًا للتسلية، تختلف عن مفاهيم وأدب الحرب التي تبلورت في القرون الثلاثة الماضية. وعند البحث في روايات الحروب الصليبية نرى أن هناك محاولة رسم شخصية أسطورية للملك **ريتشارد**، تقابلها محاولة لرسم صورة أسطورية **لصلاح الدين الأيوبي**، فاتح بيت المقدس. وهناك أمثلة كثيرة على روايات المراثي والملاحم التي ظهرت من بطون الحروب الدامية الكبيرة، مثل «**حرب المائة عام**».

ولكن، ربما يفتقر جميع هذه النصوص لأدنى المقومات الأدبية المثيرة للشفقة، التي تعبر عن ما يطلق عليه اليوم بـ«روح الحرب». ونقرأ بعض مشاعر الأسى لتلك المذابح، أو الأرواح التي أزهقت، والدماء التي أريقت، من خلال آثار عدد من مؤلفي تلك الروايات والنصوص الأدبية، ولكن خلاصة ما يريد أن يعبر عنه أولئك الرواة ليس شرحًا لجذور تلك المآسي والآلام، بل رسم صورة نمطية عن «التراجيديا الوطنية»، أو خلق ملاحم بطولية. وعندما نقترب من عصور الحداثة، نرى أن دائرة التوجه نحو التأمل واستطلاع مغزى تلك المذابح تزداد اتساعًا، فالكاتب البريطاني **شيكسبير** في روايته «**الملك لير**» يصف الرجل المحارب، بالأحمق، كما الكاتب الأيرلندي **لورانس سترين** يهجو بطولات المحاربين في روايته «**تريسترام شندي**».

ولكن بعد التطورات التي شهدتها القارة الأوروبية، ولا سيما في أعقاب الثورة الفرنسية الكبرى في العام 1789، وبعد تأسيس إمبراطورية **نابليون**، ظهرت إلى السطح روايات من نوع آخر، وبرزت آراء مثالية جديدة بأقلام مفكرين مستنيرين أمثال **كانت** و**هيغل** و**اسبينوزا** وغيرهم. ومن جهة أخرى شهدت أوروبا نقلة نوعية من خلال ظهور كتّاب مرموقين يسخرون من الحروب العبثية الدامية ومآسيها. وبالرغم من أن الفرنسيين لايزالون يفخرون بانتصاراتهم الباهرة في معركة **اوستيرليتز** ضد الألمان والإيطاليين، وتمكن الشعوب النمساوية، بدعم من حلفائهم، من دحر القوات الفرنسية بقيادة **نابليون** في معركة **واترلو**، إلاّ أن مناطق كبيرة من أوروبا وروسيا والقارة الأمريكية الحديثة، شهدت في القرن التاسع عشر ظهور روايات أدبية بأقلام رواة وكتّاب مستنيرين، لا ينظرون إلى المذابح الجماعية في الحروب العسكرية من منطلقات أو ذرائع قومية ووطنية فحسب.

الروائي الفرنسي الشهير **ستاندال**، (1783–1842)، الذي كان يعد مقاتلًا شرسًا في صفوف قوات **نابليون**، ينتقد في روايته «**الأحمر والأسود**» بشدة، وبسخرية بارعة، تلك الاستعدادات العسكرية للحروب التي

جزء من لوحة تُظهر نابليون بونابرت لجاك لويس ديفيد

شهدتها القارة الأوروبية. ومن حيث المبدأ كان يعتبر ملاحم الحروب الصليبية، وما أعقبها من استخدام المحاربين الأشداء، وما رافقها من المآسي في حكم المنتهية عهدها.

وعبر الروائي الإسباني الشهير **سرفانتس**، الذي يعتبر أب الرواية الحديثة في القارة الأوروبية، في روايته الملحمية الرائعة «**دون كيشوت**» عن انطباعه بحتمية سقوط ونهاية الحقبة التي كان يتم فيها استخدام أولئك المحاربين. وفي ما كانت أوروبا في تلك الحقبة تعج بكتّاب وروائيين ينتقدون أصحاب الآراء والأفكار المناوئة للحرب، ويتهمونهم بخيانة أوطانهم، استطاع هؤلاء الرواة المتحررون النفوذ إلى أعماق النفس البشرية في مجتمعاتهم. وأجبرت تلك الحروب، الكاتب الكبير **فيكتور هوغو** على تخصيص قسم كبير من روايته الرائعة «**البؤساء**» لشجب المعارك الدامية التي سببتها «**كمونة باريس**»**، والبكاء فوق أجساد قتلاها.

الأدب ضد الحرب

ربما لايسمح لي هذا المقال المختصر بالمضي قدمًا لكشف خبايا تلك الحروب. ولكن بات بمقدوري أن أشير إلى عقلاء القرن التاسع عشر، الذين كانت لهم تجارب مع عدد من الحروب والثورات الكبيرة في أوروبا، تعلموا جيدًا بأن عليهم أن يشككوا في أدب الروايات التاريخية التي انتشرت قبل الميلاد.

ورغم كل ذلك، تحدث **تولستوي** في روايته «**الحرب والسلام**" عن عظمة ومهابة الشعب الروسي. في ما توقع **إميل زولا**، المثقف الفرنسي العنيد، من خلال رواياته المتعددة، ومن ضمنها «**الهزيمة**»، نهاية الميول والغرائز الحربية التي كانت سائدة في القارة الأوروبية.

كانت نهاية القرن التاسع عشر، إذن، بمثابة نهاية عدد من الإمبراطوريات الكبيرة. وفي الوقت الذي كان فيه أصحاب العقول النيرة يتسارعون لمواكبة تطورات الثورة الصناعية في أوروبا، كانوا يحاولون اعلان

مهدي يزداني خُرم*

شكسبير

سترين

كانت

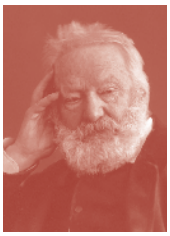
هوغو

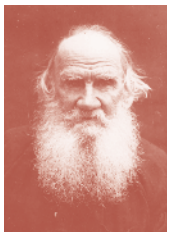
تولستوي

زولا

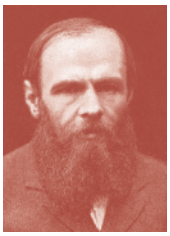
دوستويفسكي

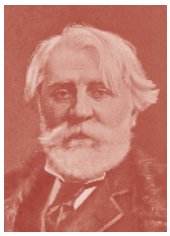
تورجنيف

هيمنغواي

كامو

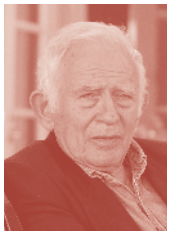
ميلر

نهاية كل مادة أدبية ورواية تاريخية لها صلة مباشرة بعهود ما قبل الميلاد. وفي أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين برز كتّاب بارعون أمثال **دوستويفسكي** و**تورجنيف**، سخروا في رواياتهم من رواة ودعاة الحروب، وشجبوا آثارهم الفكرية الهدامة. وفي بداية القرن العشرين، عندما أصبحت الكرة الأرضية مسرحًا لحربين عالميتين وحروب دامية أخرى، تموضع عدد هائل من كتّاب الرواية والأدب ضد الحرب.

إن الحكمة والعقلانية اللتين أشعل ضياءهما **كانت** و**ديكارت** في بدايات الحرب العالمية الأولى، سرعان ما أطفأت مضاعفات تلك الحرب وهجهما، وفي نهاية المطاف اضطرت شعوب روسيا القيصرية وألمانيا النازية وفرنسا إلى دخول الحرب، رغم محاولات عدد كبير من مثقفي العالم للحيلولة دون وقوعها. لأن المثقف كان يمثل ضمير المجتمع ولم يملك القدرة التنفيذية للحيلولة دون وقوعها. وفي الوقت نفسه ينبغي ألا نغفل ظهور الأفكار الثورية والماركسية، وازدياد قدرتها في تلك المرحلة، حيث اعتبرت النضال ضد الرأسمالية من مهامها المقدسة، ما أدى إلى بروز شرخ كبير بين المثقفين المتنورين من دعاة السلام.

وفي خضم هذه التطورات الدراماتيكية بادرت الحكومات المتورطة في الحرب إلى تخويف وإرهاب المثقفين والكتّاب، من أجل مواصلة نهجها العسكري لتدمير القارة الأوروبية وقسم كبير من آسيا الوسطى التي كانت ترزح تحت سلطة الإمبراطورية العثمانية. وفي الفترة الممتدة بين الحربين العالميتين، تبلورت بنسبة كبيرة أفكار ونظريات مضادة للحرب، فظهرت روايات وآثار أدبية لروائيين مرموقين أمثال **إيريش ماريارُمارك**، **إرنست همينغواي**، **روجيه مارتن ديغار**، و**لوئي فردينان سلين**، وغيرهم إلى جانب منظرين يساريين وليبراليين، غير شيوعيين. كل تلك الأعمال الأدبية أسفرت عن انتهاج سياسة محافظة من جانب الحكومات الأوروبية تجاه الحرب.

وكان لولادة حكومات يمينية متطرفة في إيطاليا، ألمانيا، فرنسا، المجر، والنرويج وعدد آخر من البلدان الأوروبية، دور مهم في تعزيز ميول دعاة الحروب في العالم. ولكن قيام عدد كبير من الكتّاب المرموقين، بنشر روايات مثيرة حول النتائج الكارثية للحروب، أدى إلى تحريض الرأي العام لمناهضة دعاة الحروب.

وفي نهاية الحرب العالمية الثانية، انتهج أغلب الرواة والشعراء سياقًا مختلفًا لمناهضة الحروب المدمرة، وأصبحت رواياتهم موضع ●●●

* Mahdi Yazdani–Khoram هو كاتب وصحافي إيراني مدير القسم الثقافي في مجلة «مهرنامه» الشهرية.

** La Commune de Paris ثورة قامت عام 1871 في باريس على إثر الهزيمة في الحرب الفرنسية–البروسية وتشكلت على إثرها ما يعتبر أول حكومة شعبية اشتراكية في باريس قمعها نابليون الثالث بعنف.

اهتمام الرأي العام، الخارج لتوه من أتون تلك الحروب. وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلى الروايات العديدة التي نشرها كتّاب بارعون أمثال: **ألبير كامو**، **روبر مرل**، **بيكيت**، **سارتر**، **رومن غاري**، **نورمان ميلر**، **وآلن روب غرييه**، الذين وصفوا تلك الحروب بالعبثية. وكان يربط هؤلاء المثقفين الملتزمين، رغم اتجاهاتهم الفكرية وميولهم السياسية المتنوعة، قاسم مشترك، هو مناهضة الحرب.

إن الوقوف في وجه القوى الداعية للحرب، من وجهة نظر الكتّاب والمثقفين، هي مسألة نظرية بحتة، وفي هذا الإطار أعيدت قراءة المفاهيم التي استخدمت في صياغة تلك الروايات. ومن حيث المبدأ، فإن الاتجاه نحو خلق أدب مناهض للحرب كان نتيجة حتمية للنتائج الكارثية التي أدت إلى إبادات جماعية في الحروب الإقليمية مثل: الحرب في الشيشان والصراع الحدودي بين أرمينيا وأذربيجان. إذن، رغم عدم امتلاك هؤلاء المثقفين القدرة التنفيذية على مناهضة الحرب، إلا أن رواياتهم وآثارهم المناوئة لدعاة الحرب، لاقت ترحيبًا واستحسانًا من قبل الرأي العام العالمي

في الوقت الراهن، أصبح الأدب العالمي منبرًا للتعبير عن آمال وتطلعات ضحايا الحروب الدموية هنا وهناك، وينبغي علينا العمل لرفع كابوس الحرب وإزالة القلق من أذهان الشعوب، من خلال نشر الأدب المثالي والموضوعي، ربما يمثل هذا أحد مهام الكتّاب والمفكرين الملتزمين ■

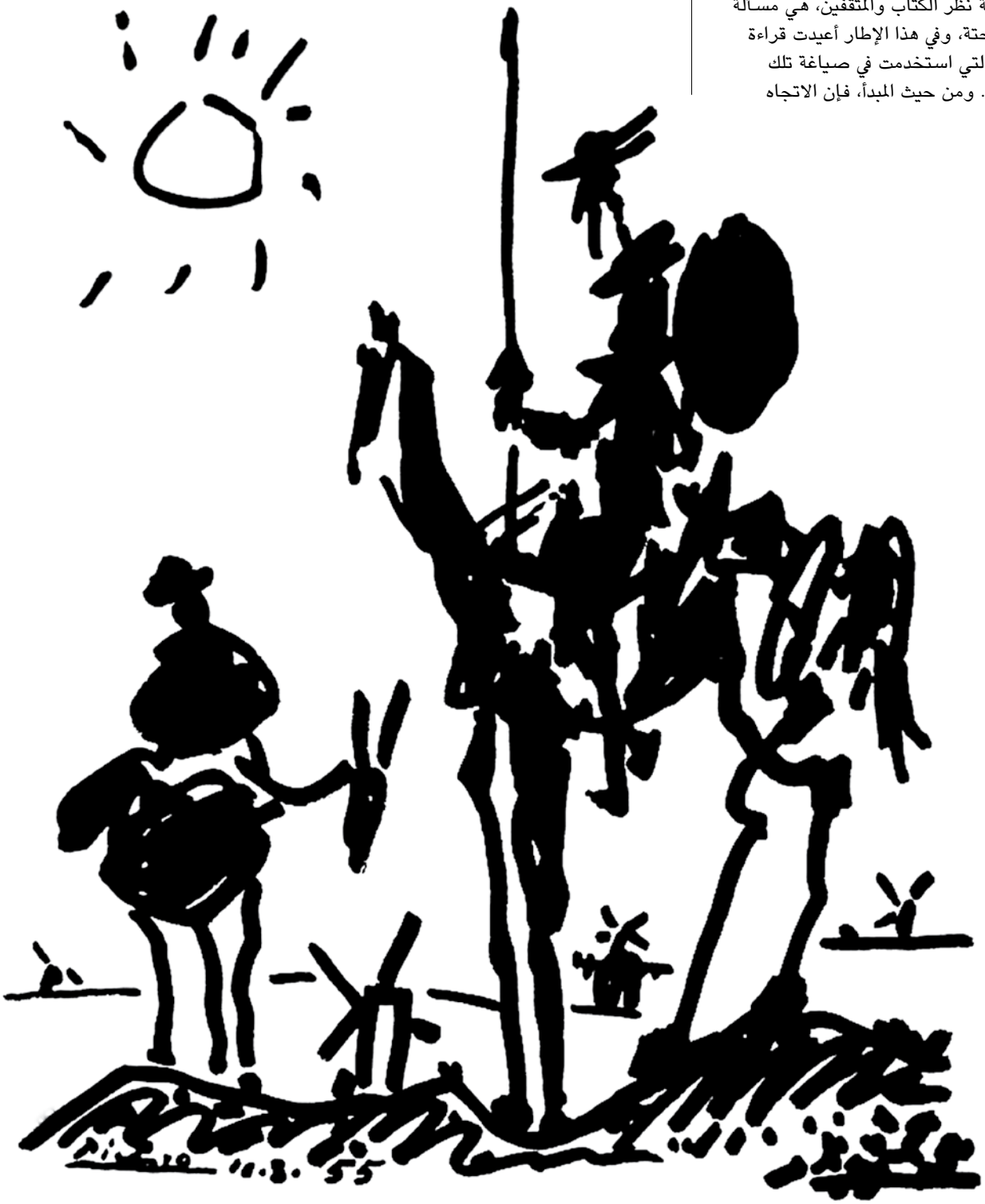

بابلو بيكاسو، «دون كيشوت»

حسن عبدالحميد*

الحروب أكلت ثلاثة أرباع أحلامنا

(في السلم ...الأبناء يشيعون الآباء
وفي الحرب ...الآباء يشيعون الأبناء)

بإيجاز درامي بارع ومكثف، يلخص ذلك المقطع الشعري للشاعر الإسباني **لوركا** قسوة ومحنة وجور الحرب، أينما حلت، وفي أي زمان من جحود وجنون هذا العالم المترامي بشساعة الموت وبشاعة فحواه. أخرج متسللًا من خرم إبرة هذا المدخل الذي كنت– طوال عسكريتي الإلزامية – أردده مع نفسي وأهمسه يتسربل أمامي كشريط سينمائي متكاسل ببطء (سلوموشن) مصحوبًا بعزف موسيقى جنائزية ينوء بثقل ما جادت به، وما تجود، آفات الحرب من مفارقات ومفاجآت جميع مشتقات الموت.

ماذا يفعل شاعر مثلي، ممن عايش متواليات حروب ثلاث ومدججات حصارات وكوارث إنسانية وحماقات سياسة تغافلت عنها ضمائر العالم المتحضر، غير التقاط حبات الخوف بمنقار الحيطة والحذر والتوجس وحبس أنفاس ما يرتجف له القلب وما تشمئزه العين ويتقيأ فيه العقل وتحتار المخيلة في استحضار بعض مشاهد وصور تلك المآسي من خزانة ملح الكلمات وعسل حبر القصائد التي كنت أكتبها للحبيبة والحياة والأطفال في مستهل حياة الكتابة عندي..

وقبل أن نتعود جبرًا على اعتياد تنفس روائح الموت ومشاهدة صور من المعركة مع تناولنا وجبات العشاء؟! وقبل أن تنتقل سواتر القتال وأكياس الرمل من جبهات القتال إلى ساحات وشوارع المدن بدخول مرحلة تطور شمولي آخر في التعبير: وسائل الدفاع عن الحدود بشن حرب الصواريخ على المدن والمدارس والمباني المدنية، ليختلط موت الآباء مع الأبناء بسرعة ذلك القصف الذي غيّر ووسّع من دوائر الموت، وهي تعاكس فكرة ومحنة قصيدة **لوركا** قاسية الذكر!

وماذا عليّ الآن، وأنا أدور في عتمة بحار ومحيطات الذاكرة كي أدلي بشهادة مقاتل وشاعر كان قد حصل على شهادة البكالوريوس في علم النفس، فوجد نفسه تلهث بتغيير حواسها ونسيان غرائزها لمجرد كوني مقاتلًا طاف كل الجبهات من الشمال إلى الجنوب، وبالعكس، حاملاً رتبة «نائب عريف مهذب» يحلم بأن يبقى على قيد كتابة الشعر وحب الحياة، فالشجاعة لديه– في أحيان كثيرة– هي أن يبقى حيًّا ووسيمًا كعنقود عنب أسود، رشيقا مثل إبرة، ودافئًا كالقبر** وأن مثولي مجددًا أمام محنة التساؤل المضني، الذي أطلقه كاتب بلغاري مجهول الاسم عبر ملاحظة كتبت بتأريخ 23 آب/ أغسطس 1939، أي قبل أسبوع واحد من اندلاع الحرب العالمية الثانية تقول: «**لقد أنتهى كل شيء... ولو كنت كاتبًا حقًا لتمكنت من منع وقوع الحرب**»! وهذا ما أكد عندي ما كنت أومن به، وما أتفق عليه مع عبارة **بيكاسو** الرائعة: «**على الحياة أن تمضي، فالحياة هي نحن**».

وحين عرفت بأن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يشعر بالموت، وأن ليس بإمكانه النظر مباشرة إلى اثنين هما الشمس والموت، أدرت بوصلتي– بشكل أوضح– صوب ربوع الأحلام وقناطر المخيلة، أبدد وحشتي في نوبات حراستي الليلية بالذكريات واستهلاك كل ما ادخرت من ترياق الأحزان: (أغاني **ياس خضر**.. وووو)، كي أنسى سنوات الجامعة وحلاوة عفوية ضحكات **أمونة** حبيبتي قبل أن تكون زوجتي وأم أطفالي في النصف الأول من أولى حروبنا اللاحقة. كنت أتوق إلى ممرات جريدة **الجمهورية**، رحم احتضان أول جنوناتي الأليفة في ملحق تموز الخاص بأدب الأطفال وقبلها في «**مجلتي**» و«**المزمار**»، من أتذكر من أحبابي؟ أصدقائي؟ من حسادي الأبرياء مثل ظنونهم حين كانوا يشبهونني بالممثل المصري **أحمد زكي** وبما يجعلني محببًا لدى موظفات الجريدة ومنتسبي دار ثقافة الأطفال، التي كان يطلق عليها الفيلسوف والمفكر **مدني صالح**– تحببًا– اسم «دائرة تسمين البلابل وتهذيب العصافير».

من كان سيهذب أحلامي ونقاء روحي التي أكلتها الحرب في جبهات القتال والخنادق وسواتر الموت كل يوم على أرض ساخنة– ملتهبة صيف شتاء، متوسدًا ضوابط وصرامة ما تفرضه حياة العسكر بطوال سنوات كابوسية أضحت دهورًا في قيعان خوفي على الوطن ■

* شاعر وصحافي عراقي
** من قصيدة له بعنوان: «عشية ربع قرن أصدقائي»، من مجموعته: «ربما نلتقي ..ربما لا»

ICRC

مكاوي سعيد*

الحرب والأدب في مصر:

من يوميات الكهف إلى يوميات الأسر

كان توثيق المعارك بين الأفراد والجماعات يتم شفاهة ثم تحول بعد آلاف السنين إلى رسوم على الكهوف

منذ بدء الخليقة رافقت الحرب –وصنوها القتل– سيرة الإنسان، سواء في صدامه الأول مع أخيه: قصة مقتل هابيل بيد أخيه قابيل، كما جسدتها النصوص المقدسة، أو في صراعه الأول مع الوحوش الضارية التي تريد افتراسه، ويريد قنصها وقتلها، مرورًا بقصص مطاردته الحيوانات الصغيرة التي يقتات عليها، ثم صراعه مع أبناء جنسه على مصادر المياه وموارد الغذاء وحدود الملكية. وكان توثيق المعارك بين الأفراد والجماعات يتم شفاهة، ثم تحول بعد آلاف السنوات إلى رسوم على الكهوف وثقت لصيده ولحربه مع الوحوش الضارية، كما وثقت لعدوه المجهول أيضًا. وكان قتل الحيوان للإنسان، أو العكس، أو صراع الإنسان مع جنسه، قد تداخل منذ البداية، وأكدت ذلك الأساطير والخرافات القديمة، وأظهرته الرسوم التي رسمها الإنسان القديم، إذ ظهر فيها مدى الرغبة الإنسانية في التدوين الصوري للصراع الإنسانية.

ومن هنا تكمن أهمية توثيق الصراعات مع إضافة البعد الأسطوري لها لتعزيز روح الجماعة الواحدة– لاشعوريًا– لمواجهة تحديات المجهول المستقبلية. لذا وثقت معظم الأساطير الإنسانية مثل «إلياذة» **هوميروس** وأشعار **فرجيل**، حالة الحرب، وهي من أشهر أساطير الحرب الإنسانية على الإطلاق، وأثبتت أن البشرية تحتاج - فيما يبدو– إلى ذكريات الحرب المؤلمة لجلد ذاتها العدوانية دائمًا، ومن هنا فإن أدب الحرب هو من أقدم أشكال التعبير الإنسانيّ إذا ما قورن بصنوف كتابية أخرى.

للعالم الغربي فضل كبير في تقديم أعمال أدبية عظيمة وكثيرة تتناول الصراع الإنساني وظاهرة الحرب. ومن بين هذه الأعمال رواية «**الحرب والسلام**» **لتولستوي** و«**وداعًا أيها السلاح**» **لهيمنغواي** و«**دروب الحرية**» **لسارتر** و«**الدون الهادىء**» **لشولوخوف** و«**أفول القمر**» **لشتاينبك**. كما قدم الكاتب اليوناني الكبير **نيكولاس كازانتزاكس**، المولود في جزيرة **كريت**، في البحر المتوسط، روايتيه «**كابتن ميخاليس**» و«**الحرية أو الموت**»، وهما تستعرضان رغبة السكان المحليين في **كريت** في التحرر من الاحتلال في العام 1889، وكفاح الشعب اليوناني للحصول على حريته. وقدم لنا الكاتب اليوغوسلافي **إيفو أندريتش** روايته العظيمة «**جسر على نهر درينا**»، التي حازت جائزة نوبل للآداب في العام 1961، وتتناول الصراعات التاريخية التي مرت على منطقة البلقان أثناء الاحتلال العثماني ثم النمساوي لها، خاصة المناطق التي تقع شمال **سراييفو** في البوسنة على الحدود مع صربيا، وتأثير هذا الاحتلال عليها، مع رصد لصراعات الأديان والوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي وتحولات منظومة تفكير الناس وقيمهم مع مضي الزمن من خلال الجسر الذي ربط الماضي بالحاضر، ووصل بين الصربيين والبوسنيين، فشهد على مر العصور خلافاتهم العرقية والوطنية والدينية.

وعندما نأتي إلى استعراض نتاج عالمنا العربي لا سيما المصري من أدب الحرب والمعارك الكبرى في العصر الحديث، قد نظلمه ظلمًا بينًا إذا ما قارناه بالأعمال الكبرى في الآداب الأجنبية، ويرجع هذا في ظني إلى أن أدباءنا الكبار أمثال **نجيب محفوظ** و**طه حسين** و**توفيق الحكيم** و**يوسف إدريس** و**يحيى حقي** لم يتطرقوا إلى الحرب في أعمالهم، ولم تظهر للحرب أصداء في سطورهم إلا كخلفية باهتة، بالكاد، في بعض أعمال **نجيب محفوظ** (كما في زقاق المدق وخان الخليلي)، عندما يمر على الحرب العالمية الثانية من خلال تأثيرها على الحارة المصرية التي بدأت تشاهد المحتل الإنجليزي يستعين بحلفائه من جنود أستراليا في ضبط الشارع المصري. وحتى الحروب التي خاضتها مصر بعد ثورة تموز/ يوليو 1952، لم يكن لها صدى كبير في روايات أو أعمال فنية، إنما ظهرت في صور مقالات قصيرة. وربما يعود ذلك إلى أن الحكام لا يرضون بغير صورة المقاتل العربي الأسطوري الذي لا يضعف ولا يبكي ولا يفر من الميدان، فآثر كثير من المؤلفين البعد عن الكتابة في موضوعات الحرب التي لا تؤنسن المقاتل، أو تقدم صورًا مزيفة عنه...

كذلك كانت حروب العرب حروبًا إقليمية بعيدة بعض الشيء عن المدن بخلاف الحروب الأوروبية التي كانت تؤثر في العالم كله، جنوده ومدنييه، وتغري بالكتابة والتسجيل. كما أن الظروف التي عاشتها المنطقة بعد حرب تشرين الأول/أكتوبر 1973، مثل توقيع اتفاقية كامب دافيد ومعاهدة السلام والانفتاح، سلبت كثيرًا من تأثير هذه الحرب، وجعلتها حربًا مجهضة ونصرها منتقصًا، رغم أن هناك أعمالًا جيدة عبرت عنها مثل رواية «**الرفاعي**» **لجمال الغيطاني**، و«**الحرب في بر مصر**» **ليوسف القعيد**، و«**لسان يهاجر شرقًا**» **للسيد نجم**، و«**المرض**» **لحنا مينا** و«**رفقة السلام والقدر**» **لمبارك ربيع**.

لكن من الممكن اعتبار أعمال الروائي **فؤاد حجازي** بمثابة توثيق دقيق لوقائع الحرب في الشرق الأوسط خاصة روايته الشهيرة «**الأسرى يقيمون المتاريس**» التي تتناول تجربته الشخصية في معسكر الأسرى في «**عتليت**» ثم مجموعته القصصية الهامة «**سلامات**» التي صدرت عام 1969 وكانت أول مجموعة قصصية تحتوي على موضوع واحد هو الحرب، يليها رواية «**المحاصرون**» التي تتناول كفاح الجيش المصري أثناء حرب الاستنزاف، وأخيرًا رواية «**الرقص على طبول مصرية**» التي تتناول باستفاضة حرب أكتوبر. ولهذا الأديب الرائع المقاتل كتيب صغير أصدره عقب أحداث 25 كانون الثاني/يناير2011، يتضمن شهادات موثقة عن بوادر الثورة وفعالياتها ويومياتها في مدينة **المنصورة**، تؤكد لنا أن قدرته على الرصد والتحليل ما زالت في أوج قوتها كما كانت قدرته على الصمود والمقاومة والحرب وتسجيل وقائع القتال..

ولفؤاد حجازي أيضًا رواية أخرى بعنوان «**رجال وحبال ورصاص**» وهي تتناول المشاركة المصرية العسكرية في حرب اليمن، وهي رواية كاشفة للتيارات التي بالخطاب الديني للسيطرة. كما قدمت هذه الرواية صورة صادقة صادمة عن أحوال اليمنيين في ظل حكم الإمام البدر. وللأسف هذه الرواية لم تنل حظها من الانتشار لأن حرب اليمن كانت حربًا عربية عربية، وربما اعتبرها البعض شأنًا داخليًا.

ورغم أن للروائي **يوسف القعيد** أربع روايات عن الحرب وهي «**الحداد**» و«**أخبار عزبة المنيسي**» و«**في الأسبوع سبعة أيام**» و«**الحرب في برمصر**».. غير أن روايات **القعيد** تختلف اختلافًا تامًا عن روح كتابات **فؤاد حجازي**.. فروايات **حجازي** روايات مقاتل شارك في الحرب يرصد بدقة احوالها ووقائعها، بينما روايات **القعيد** مكتوبة بشكل شهادة عن الحرب لا مشاركة فيها، كما أنها تعكس ظلال الهزيمة على الشعب المصري ثم تتعرض لملامح الانتصار بشكل دعائي ■

★ روائي مصري

سركوت حمه حسين*

أزمة حيادية الأدب في زمن الحرب

يتفق الجميع على دور الحرب في ظهور أعمال أدبية مهمة غير أن تأثير الحرب على الأدب لا يتوقف عند هذا الحد إذ يمكن في أحيان كثيرة أن تحول الحرب الأدب إلى بوق دعائي لمصلحتها

الأدب والحرب كلاهما نشاط وعمل ينجزه الإنسان سواء كان بشكل فردي أو جماعي، وهو لا يقوم بذلك عشوائيا أو من غير هدف، ولأن الانسان كائن عاقل ومفكر، لذا نرى أن إنجازه لهذه الأعمال سيكون، إما للتعبير عن ذاته وحاجاته وأحاسيسه، وإما للدفاع عن نفسه وممتلكاته ووجوده. وبالنظر للتجربة الإنسانية عبر التأريخ حتى الآن نرى أن كلًا من هذين النشاطين يؤثران في الإنسان وفي طريقة عيشه مثل ما يؤثران على بعضهما. فالأدب تأثر بالحرب بحيث ظهرت أنواع وطرق جديدة للتعبير الأدبي مما يعرف بأدب الحرب، وفي المقابل أثرت الأعمال الأدبية في الحرب من خلال تأثيرها في الإنسان وتحريك مشاعره وتحريضه وإلهاب حماسته للمشاركة في المعارك، مما أدى إلى إطالة أمد الحروب وإبقاء ويلاتها وبطولاتها في ذاكرة الفرد والشعوب.

وتأتي العلاقة بين الأدب والحرب من كونهما مرتبطين بالإنسان ومحاولاته للبقاء والتعبير عن نفسه والحفاظ على مايملك. وهذه كلها أمور مرتبطة بأنانية الإنسان، والعلاقة بين هذين المفهومين تتمثل في عدد من المواضيع والنقاط.

الأدب والحرب والمجتمع

هناك ارتباط شديد بين الأدب والمجتمع الذي يخرج منه هذا الأدب، والأدب كنشاط إنساني، يتأثر بما يؤثر في الإنسان والمجتمع خصوصًا الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وذلك لأن الأديب هو إنسان وكائن اجتماعي تتحكم فيه الظروف السياسية الاقتصادية والاجتماعية، أما الأحداث التاريخية في مجتمعه والعالم فتكون مصادر إلهام له لاستخراج إبداعاته.

والأدب بكل أشكاله من الشعر والنثر والقصص، هو تعبير عن المشاعر والأحاسيس الإنسانية بطريقة أو بأخرى. يعكس الأدب إلى حد معين واقع المجتمع وأوضاعه السياسية والاقتصادية والاجتماعية، كما يبين حاجات المجتمع والفرد وأفراحه ومآسيه وآماله وتطلعاته المستقبلية.

الحرب هي استمرار للعملية السياسية بطرق أخرى، بمعنى آخر هي إدارة للسياسة بطرق غير الطرق الدبلوماسية أو المدنية غير العنيفة، بل بإدارة تعتمد الطرق الأكثر عنفًا مثل المعارك والحروب، واستعمال الآلات الفتاكة والأسلحة المدمرة واحتلال الأراضي والبلدان وصولًا إلى قتل الإنسان وتدمير ما بناه من حضارة.

فالحرب هي سمة الإنسانية منذ نشوء التاريخ، كانت الحروب والصراعات بين الشعوب، وما زالت، تندلع وتدار لأسباب

* كاتب صحافي من كردستان العراق

وادعاءات مثل الحصول على حياة أفضل أواسترجاع الحقوق و ....إلخ. ويكاد عمر الحرب يناهز عمر الإنسان على الأرض، فمنذ قابيل وهابيل إلى الحربين العالميتين الأولى والثانية والحروب الدولية والإقليمية التي تلتها وحتى الحرب على ما يسمى «الإرهاب» والعمليات الإرهابية، كل هذه الحروب التي لم تسلم منها الغالبية في الكرة الأرضية دفعت الإنسان إلى الإبداع في الصناعة والفنون والأدب من أجل تحقيق الانتصار وبث روح المقاومة في الشعب وأفراده في الصراع ضد القوى الأخرى التي تهدد كيانه وتعرضه للخطر والزوال.

فالحروب والصراعات تؤثران على الإنسان والمجتمع بسبب ما تخلفانه من دمار وخراب عمراني واقتصادي والأذى الذي يصيب الإنسان من فقدانه لأحبابه وأعزائه وخصوصًا المعيل كالأب والأم ليصل الأذى إلى فكر وأخلاقيات الفرد والمجتمع ومن ثم فنه وأدبه و ...إلخ.

تناول الأدب للحرب عبر التاريخ

منذ بداية المسيرة الإنسانية إلى اليوم، قلّما نرى عملًا أدبيًا أو فنيًا يخلو من موضوع الحرب والصراعات البشرية، لكن المتغير هو دور الأدب أو طريقته في تناول الحرب. ففي عصر الإنسان الذي عاش في الكهوف بدأ الأدب في ذكر وتصوير البطولات خصوصًا من خلال صراع الإنسان مع قوى الطبيعة وطريقة ومراحل هذا الصراع. ثم جاء عصر الحضارات الأولى ليبدأ دور الأدب وطريقة تعامله مع الحرب ولكن بشكل تدريجي، بدأ بالتصوير والقصص الشفاهية التي تتحدث عن الحروب والمعارك الطاحنة بين الجيوش، ولم يكن الهدف من ذلك تصوير بطولة وقوة الإنسان المقاتل، بل إبراز دور القائد والزعيم وتمجيده وتعظيمه لدرجة كبيرة. وحرصت الأساطير الأدبية القديمة على رفع شأن القائد والملك وجعله في مصاف الآلهة، وبدا هذا واضحًا في الصور والنقوش التي تركها الأسلاف على جدران القصور والمعابد أو الحجر والفخار ...إلخ.

ومع العصر الإسلامي، أخذ الأدب منحًى آخر، فمع التذكير والتمجيد والتعظيم لدور الفارس ومبارزاته وقوة سيفه، راح الأدب يمارس دور المحرض ورافع المعنويات، إذ بدأ المسلمون يجندون الكلمة لتقوية الجيوش ورفع عزيمة وهمة المقاتلين ونصرة الدين.

ومنذ بداية انتشار الدين الإسلامي وانطلاق الفتوحات الأولى، ظهرالأدب الحربي، وكان تأثيره جليًا في سيرالمعارك والحروب. وازدهر الأدب الحربي بنحو كبير وأصبح الأدب داعمًا وناصرًا لجيوش المسلمين. في إحدى الروايات يذكر أن الرسول **محمد** (صلى الله عليه وسلم) دعا الشعراء للوقوف جنبًا إلى جنب مع المقاتلين في معركة الإيمان لنصرة الدين، فالتفت إلى شعراء **الأنصار** قائلاً: «**ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بأسلحتهم أن ينصروه بألسنتهم**؟».

وبدأ الشعراء المسلمون يستخدمون الكلمة لنصرة الدين من خلال بث الهمة في المسلمين، وإلهاب مشاعر المقاتلين منهم خصوصًا لاستنهاض روح الجهاد والشهادة وعزة الإسلام فيهم. وراح أدب الحرب (أدب الجهاد) يواكب قضايا الإسلام ومعاركه وفتوحاته ويسجل مايدورخلالها.

أما في العصر الحديث، خصوصًا فترة الحربين العالميتين الأولى الثانية، برز وبنحو جلي دور آخر للأدب يمكن وصفه على أنه دور مناهض للحرب، إذ أخذ الأدب يصور الحرب ليس على أنها مجرد بطولات وانتصارات وتمجيد لدور المقاتل والقائد أو الهدف السامي للحرب ومبرراته ومجريات الحرب، بل أخذ يصورالهزيمة أيضًا وأحاسيس المقاتلين وخوفهم واضطراباتهم وانكسارهم ويصور الفرح والحزن في نفس الإنسان المقاتل في ساحة المعركة وبعدها، وأثناء الانتصار، وبعد الهزيمة، وساعة فقدان صديق أو عزيز، كما يصف بنحو دقيق تساؤلات الإنسان عن جدوى الحروب ونظرته إليها، وعن الصراع بين الشعوب والطبقات والثمن الذي يدفعه الإنسان في الحروب سواء كان منتصرًا أو مهزومًا.

في الحربين العالمتين الأولى والثانية برز دور واضح للأدب في مناهضة الحروب

إدراك حقيقة أن الجميع خاسر في الحرب، كانت مهمة الأدب في نهاية الأمر للتعبير عن هول التجربة الحربية ذاتها، لأن النفس البشرية تشكلت على حب الحياة.

أثر الحرب في الأدب

الحرب كحدث، أو كارثة، تترك أثرًا على الإنسان والمجتمع والشعوب، وحتى الطبيعة والبيئة لا تسلمان من أثرها. وبالرغم من الإجماع على أن الحروب والصراعات سواء بين الشعوب والجيوش، أوبين الجماعات مهما اختلفت أحجامها وعدد أفرادها، تترك آثارًا سلبية وضارة بشريًا وماديًا ومعنويًا، إلا أنها في الوقت نفسه تترك آثارًا أدبية وفنية مؤثرة ورائعة خاصة، حينما تلتقط أحداثها مخيلة روائي بارع أو عاطفة شاعر مبدع ومرهف الحس وصادق المشاعر أو ريشة فنان أو عدسة سينمائي موهوب. المفارقة أن تترك الحرب أثرًا يخلق أعمالاً أدبية وفنية غاية في الجمال عبر التاريخ يظهر في صورة ملاحم وروايات ورسوم وأشعار وأفلام رائعة.

ولكن ثمة وجهًا آخر للتأثيرات السلبية التي تتركها الحرب على الأدب، وهو أنها بدورها تحد من الإبداع، لأنها تتقيد بفكرة أو آيديولوجيا معينة وتجبر المبدع على أن يكون منحازًا لطرف بعينه خلال الحرب، كما أنها تحول الأدب إلى جزء من الماكينة الإعلامية التي تديرها السلطة.

ولنا أمثلة على ذلك من الحرب بين العراق وإيران في ثمانينيات القرن الماضي، وكذلك النظام الدعائي النازي في الحرب العالمية الثانية، وهذا يقيد مخيلة الأديب ويسجنه داخل أسوار السياسة والسياسيين وقادة الحروب وبذلك نجد هنا أن حيادية الأدب في مأزق.

وأخيرًا نرى أن الأدب والحرب تجمعهما علاقة تفاعلية، لأنهما يرتبطان بالإنسان شكلًا ومضمونًا. وفي رأيي أن الأدب الحقيقي هو الذي يرفع من قيمة الإنسان وشأنه ويرتقي بالقيم العليا ويدافع عن الحياة. والذي يتأمل في الأدب الحربي يجد أن أجود الأعمال الأدبية هي تلك التي دافعت عن حياة الإنسان وناهضت الحرب ■

أسطورة المحارب:
حياة متجددة.. وقوة لا تنفد

ليست المواصفات الجسدية الخارقة فقط هي التي تشكل صورة المحارب في التراث الشعبي العربي، لكن التكوين النفسي الخارق أيضًا.

يتحول المحارب إلى طائر يخترق الفضاء، ثم يهوي بسلاحه على عدوه، فيصرعه بضربة واحدة، منقذًا أمته أو قبيلته أو دولته من فناء وشيك.

يمتطي المحارب صهوة جواده، ويقطع مسافات مقياسها الليالي والنهارات، ثم يصل إلى قلعة حصينة، سرعان ما تفقد أسوارها قوتها أمام شجاعته، ليقتحمها، منقذًا حبيبته، عائدًا بها إلى دياره، مؤكدا قدرته على حماية شرف القبيلة، فينال حرية تنهي أزمان عبوديته.

يواجه المحارب تنينًا بألسنة نارية متعددة، وأياد تنبت من جديد كلما بترها سلاح، فيسدد ضربة واحدة في قلب التنين، دفاعا عن معتقده، أو دينه، فيصبح قديسًا بين أبناء أمته.

يموت المحارب لكنه يحيا حياة متجددة أبدًا في ضمير أمته. تصعد روحه إلى السماء، لكنها تبقى خالدة على الأرض في الأشعار والأغاني والموسيقى. تحفظ الرياح اسمه، ويتناقله القمر مع الشمس مع الجبال والوديان، ليبقى البطل جيلاً بعد جيل، ولتزداد حكاياته غرابة جيلاً بعد جيل، كل جيل يضيف إليها من روحه، فتكبر الأسطورة، وتتسع، وتطول، وتختلط فيها حكايات الحرب بحكايات الحب، وتصبح حكاية لا تنتهي، يغنيها شاعر الربابة في الليالي الصافية، أو تحتضنها كتب التراث، وتهدي جواهرها لقراء المستقبل.

قد تكون أساطير المحاربين مجرد أساطير، فيها مبالغات غير قابلة للتصديق، لكنها -على أي حال- تحمل قيم وأخلاق الحرب والمحاربين في أزمنة خلت. فالمحارب فيها يدافع عن قيمة، ولا يهدر -في المقابل- قيمًا أخرى من أجل أن ينتصر. فالنصر بالخديعة والغدر ليس نصرًا، والنصر بلا شرف ليس نصرًا، والنصر بلا احترام لإنسانية العدو -جريحًا أو أسيرًا أو قتيلاً- ليس نصرًا.

في الصفحات التالية، مختارات من لوحات رسمها فنانون شعبيون عرب على جدران تخليدًا لأبطال أسطوريين وقيم إنسانية محفوظة في الوجدان الشعبي، اختارها الفنان الكبير الراحل محيي الدين اللباد، وشرح نصوصها طارق يوسف رابطًا بينها والقانون الدولي الإنساني، مستخلصًا الروابط بين القانون والتراث الشعبي، وأصدرتها اللجنة الدولية في كتاب "سير ورسوم شعبية" تخليدًا لمبادئها الأساسية، في العام 1996، وصورها فوتوغرافيا كمال الدين خليفة ■

عنترة بن شداد

قال الراوي: كان **عنترة العبسي** فارسًا لا يبارى، وكان أسود اللون، وقد جر عليه ذلك العنت والإنكار وجلب عليه الوبال والاحتقار، فرفض أبوه **شداد** نسبه، وأنكر بنوته، واستكثر عليه عمه **مالك** الاقتران بابنته **عبلة** لتكون زوجته، فكان في منزلة العبيد، يسوق النوق ضاربًا في البيد، فشكا للجبال، وخاطب الرمال، بشعره الفصيح حين قال:

فإن عابوا سـوادي عند ذكري
وجاروا من عنادي في ملامي
فـلي قلب أشـد من الرواسـي
ولوني مثل لون المسـك نام
وما أسـمو بلـون الجلد يومًا
ولكـن بالشـجاعة والكلام

قال الراوي: وحدث في بعض الأيام، أن أغار **بنو طيّ** على مضارب الخيام، وأعملوا في **بني عبس** الضرب والطعان، حتى أشرفوا على الهلاك والخسران، فنادى **شداد** على

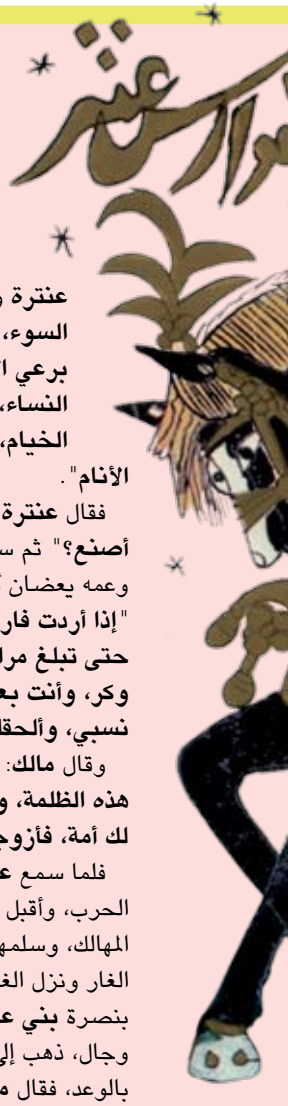

عنترة وصاح به: "**ويلك يا عبد السوء، أهذا يوم اشتغال مثلك برعي الأغنام؟ وقد سبيت النساء، وطرحت الرجال بين الخيام، وصرنا حديثًا بين الأنام**".

فقال **عنترة**: "**يا مولاي، وما الذي أصنع؟**" ثم ساق الغنم، وترك أباه وعمه يعضان أصابع الندم، فقال **شداد**: "**إذا أردت فاركب اليوم جوادك، حتى تبلغ مرادك، واحمل على الأعداء وكر، وأنت بعد اليوم حر، أدخلك في نسبي، وألحقك بحسبي**".

وقال **مالك**: "**احمل وخلص عبلة من هذه الظلمة، وأنا أكون لك عبد وهي لك أمة، فأزوجها لك**".

فلما سمع **عنترة** قول عمه، لبس عدة الحرب، وأقبل على **عبلة** ونجاها من المهالك، وسلمها لأبيها **مالك**، وعاد إلى الغار ونزل الغمار. فلما انتهى القتال بنصرة **بني عبس**، بعد أن صال **عنترة** وجال، ذهب إلى أبيه وعمه يطلب الوفاء بالوعد، فقال **مالك**: "**لا وعد لعبد**"، فلما سمع **عنترة** كلامه، غضب وحنق وجرد حسامه، ولوح به وهو يقول:

"**لا أريد منكم نسبًا ولا زمامًا، ولا أبًا ولا أعمامًا، ولا أريد أبًا غير هذا الحسام، ولا عمًا غير هذا الرمح المعتدل القوام**".

القصد:

لون العيون مالوش دلالة على دقة الإبصار..
ولا على جمال الصورة المنطبعة في المخيلة
والبشرة، لونها مش دليل على سعة القلب..
أو على ضيق أفق
والمعضلة
إن القلوب جوه الضلوع ماهيش منظورة للعيان
وإن جريان الدموع مش بالضرورة دليل على رقة الإنسان.
والمسألة
إن ابن آدم بعمله
وإن لون البشرة، أو لون العيون ماهوش دليل على أي شيء ■

أبو زيد الهلالي

قال الراوي: كان **أبو زيد** في هذا الزمان، في **مكة** بلد الحبيب **طه** النبي العدنان، بيحارب العدا من ملة اليونان، اللي طغوا وهجموا على أخواله.

فلما رسولهم جاله، لبى **أبو زيد الهلالي**، وخلفه كل الهلايل، والنجع بات خالي من رجاله.

ولا موجودين في النجع إلا كبارهم
رزق الأمير ويا الملك سرحان
وموجودين في النجع تمانين صبية
بنـات الهلايل دُبّـل الأجفان

قال الراوي: لما الزعيم **حنضل العقيلي**، عرف بأن النجع خالي من الرجال، وكان ما بين **العقيلية** وبين **بني هلال** حرب ونزال وقتال، ركب على طول، ودقت الطبول، صلوا على **طه** الرسول:

حنضل زحف إلى نحو عرب الهلايل
في غياب سلامة الفارس الولعان
هجـم عـلى نجـع الهلايـل يخربه
في غيـاب أبو زيـد يوقد النيران
هجمـوا عجايـز بنـي هـلال
كبارهـم فلايـل فلايـل
واشـتغل ضـرب القتـال
بقى الـدم عـلى الأرض سـايل

قال الراوي: هذا ما كان من عربة **بني هلال**، وهذا ما جرى وكان؛ فبعد القتال والطعان، أخذ **حنضل** الصبايا، ثمانين صبية سبايا. ناحوا النساوين، وصبغوا الملابس طين، وقالوا نشتكي لمين؟ أين الرجال؟ . . وأين **أبو زيد** فارس **بني هلال**؟

قالوا: اكتبوا للي غايبين
علشان يجونا يشوفونا
مات مين واللي عايش مين
ومن البلا.. ينجدونا
كتبوا الجواب بالذي كان
أتانا الملك العقيلي
ولم يترك إلا اللي فيه شيب بان
وبدّل نهارنا بليلي
ركب العبيد بالجواب سار
من نجد إلى مكة السعيدة
في القلب كاتم السّار
في الجبل قايم ساعي ده

قال الراوي: أما ما كان من أمر العبد المبعوث بالجواب؛ فلما وصل سلم **لأبو زيد** الخطاب.

فتح الهلالي الجواب وقراه
وشاف اللي فيه واللي حاصل
سـلامة قـال: الحمـد لله
ما جزعـش م الأمـر واصل

قال الراوي: قال **أبو زيد** يا رجال، قوموا وشدوا الرحال، هجموا العدا الأندال، على النسا والعيال، والندل ساعتن يحارب، يقتل صغير وشايب، ولا يخاف الملامة.

قال **الهلالي سلامة**:

لاخـد بـتـار الهلايل
وبناتنـا ح نخلصوهـا
أنا الـلي في الحـرب قايل
اعـمـارنـا نـهـوّنـوهـا

القصد:

لو افتكر المحارب للحظة، إنه أب،
وإنه زوج وابن، وإنه في لحظة من اللحظات زمان، قلبه رقص بالحب،
وإن بنت الجيران، انتظرته ياما ورا الشباك،
وإن نفس النجمة اللي باح لها بسره زمان هناك
هي اللي فوقه الآن بتضوي في السما
لو افتكر للحظة، إن أول دقة حس بيها ف قلبه كانت دقة مش كدابه
لو حس كل ده ح يمتنع عن أنه يبقى ديب من الديابه
وح يعرف أن الحرب تتميز بلونها الكاكي
وساعتها يمكن يحترم تعدد الألوان ■

سيف بن ذي يزن

الحمد للّه رب العالمين، وبه نستعين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

أما بعد، فهذه قصة الأمير **سيف بن ذي يزن**، الملقب بوحش الفلا، الفارس الكرار، والبطل المغوار، صاحب البطش والاقتدار، المنجد في وقت المحن، ومخمد الأسحار والفتن. وهي قصة غريبة الوجود، فاقت الخيال وتخطت الحدود.

قال الراوي: وبعد أن اجتمع شمل الأمير **سيف بن ذي يزن**، بأولاده في **حمراء** اليمن، وحمدوا اللّه على ما منّ به عليهم من المنن، أشار عليهم **سيف** أن يذهبوا جميعًا إلى مصر، وينزلوا في قلعة الجبل، فذهبوا إليها، ثم إن الحكيمة **عاقلة** انصرفت إلى استفتاء النجوم، وقراءة الطالع لكشف الغيوم، وكانت **عاقلة** عالمة بتلك العلوم.

وبعد برهة قصيرة من الزمن، عرفت ما كان من أسباب خراب المدن، **فقالت لسيف بن ذي يزن**: "**أنت موعود بتمهيد مجرى النيل، فليس لعمارة هذه المدن من بديل**". فقال لها **سيف**: "**وكيف يكون ذلك**؟".

فقالت له: "**بأن تحضر كتاب النيل، الذي يعمر الممالك، ويحمي الناس من المهالك**".

فقال سيف: "**لا أعرف أين وضعته، فقد فقدته لما ضيعت الأمانة**".

فقالت له أخته **عاقصة**: "**أنا أعرف مكانه، فقد سرقه منك الحكيم سقرديس، لما تقابلتم في موقعة أبسيس، وأعطاه لسيف أرعد، ملك الحبشة والسودان، وهذا ناوله إلى وزيره بحر قفقان ليحفظه عند الكاهن السيسبان**".

فقال سيف: "**وكيف يمنع سيف أرعد الماء عن الناس**؟".

ثم جهز **سيف** الركب وسار، فقطع البلاد والأمصار، ليأتي بكتاب النيل، وعندما وصلوا إلى جبل في واد يقال له **بركة السحرة وبطن البقرة**، برق البرق، وزأر الرعد، وتطايرت شهب النيران، ثم ظهر الكاهن **السيسبان**، وقال **لسيف**: "**إن كنت تريد كتاب النيل، فأظهر لي قدرتك في الميدان**". وسلط **السيسبان** على **سيف** الخوف فأبطله، ثم سلط **سيف** عليه الرجفة فأبطلها، فنزع **السيسبان** شعرة من رأسه، وجعلها حربة، فردها **سيف** إليه شعرة كما كانت، ثم جعلها **سيف** ثعبانًا كأنه النخلة يمشي على بطنه، فردها **السيسبان** شعرة كما كانت.

فقال **السيسبان لسيف**: "**أنت ند لي، فاطلب ما تشاء**"؛ فقال له **سيف**: "**أريد كتاب النيل، لأجري الماء، وأعمر المدن**"؛ فقال له **السيسبان**: "**لك ما أردت يا سيف بن ذي يزن**". وأعطاه كتاب النيل، فعاد **سيف** به، وأجرى المياه، وعمر البلاد، وأفاض بالخير على العباد، ثم دفن كتاب النيل، في المكان المسمى **بالمقياس**، الذي به قصر ابنته الملكة **الروضة**، فصان الكتاب من الضياع، وحماه من التيه في البقاع. ومنذ ذلك الحين والزمان، لم يتوقف النيل عن الجريان.

القصد:

بين الحياة .. والعدم نقطة المية
بين الموات .. والنما نقطة المية
والحرب غول أعمى جهول. إنما نقطة المية
لا يصح تبقى سلاح
ولا يجوز منعها في كافة الأحوال
فالمية حق مباح
زي الهوا، والشمس
وضحكة الأطفال ■

الأميرة ذات الهمة

الحمد لله الذي جعل سير الأولين عبرة القوم الآخرين.

أما بعد، فهذه سيرة الأميرة ذات الهمة، ذات التاريخ المنظوم، والسيرة المسطرة في الحروب بين العرب والروم، فهي التي قادت البلاد، وأبلت بلاء غير مسبوق في الحرب والجلاد، فملكت قلوب العباد، ولجأ الناس إليها في كل ملمة، حتى لقبوها بذات الهمة، ونعتوها بداهية العرب أو "دلهمّه".

قال الراوي: فلما تزوج جدها الصحصاح من ابنة عمه ليلى، وأنجب منها ولدين، سمى الأكبر ظالم والأصغر مظلوم. لما جاءته الرؤية وهو نائم، بأن الأكبر سيكون للأصغر ظالم. فلما شب الولدان، تحققت النبوءة، وكان ما كان، من ظلم ظالم لمظلوم في كل آن وشأن.

ودارت دورة الزمان، فتزوج الولدان، وأنجب ظالم ولدا سمّاه الحارث، أما مظلوم، فقد رزق بابنة سمّاها فاطمة. فخشى مظلوم من شماتة أخيه، ولعن الزمن وتصاريف الدهر فيه، فأنكر البنت وأخفاها، ودفع بها إلى مرضعة تتولاها، وتقوم على تربيتها، فنشأت فاطمة بعيدة عن بيتها، منكرة من أبيها، كأنها الفضيحة أراد أن يخفيها. ولكن فاطمة عندما كبرت، ذاع صيتها واشتهرت، برجاحة العقل والبطولة، وكان ما كان من وقائع وأحداث مهولة.

فأصبحت الفتاة التي أنكرها أبوها، فاطمة بنت مظلوم، قائدة جيوش العرب في حروب الروم، ومخلصة أرضهم من المعتدين، الروم البيزنطيين، فسبحان علام الغيوب، خالق المرأة والرجل من نفس الطين.

القصد:

في الحرب.. المرأة بتشيل قد ما بيشيل راجلها مرتين، في الحرب.. أهوال القتال والضرب موزعة على الطرفين.. بنفس القدر ويزيد على المرأة شئون البيت، وأحوال الولاد، وخلق جو من الأمان، يسمح لأولادها يناموا ويحلموا "بغد سعيد"، و"نهار جديد" الأم مدرسة إذا... وإذا أداة للشرط، أو الاختيار فهل نعيد للمرأة كل الاعتبار؟ ولاّ نعيد السيرة من تاني؟ من أول: الحمد للّه الذي جعل سير الأولين... حتى: خلق المرأة والرجل من نفس الطين! ■

مار جرجس

السلام لك يا كوكب الصبح، السلام لك أيها العفيف المشتمل بالنور، السلام لك أيها الشجاع ذو الاسم المكرم الذي هو جرجس الجوهر المنقذ.

قال الراوي: لما ولد القديس جراجيوس سنة 280 ميلادية، كان أبوه أنسطاسيوس واليًا على كبادوكيه، وأمه ثاؤبستي من فلسطين.

ولما بلغ مارجرجس أربعة عشر عامًا، استشهد والده بقطع رأسه، لأنه هكذا مكتوب له، فجميع الذين يريدون أن يعيشوا مسيحيين مضطهدون في تلك الأيام.

وعندما قام الإمبراطور أقلاديانوس بهدم الكنائس، وحرق الكتب المقدسة، وحرمان العبيد من الحرية إذا هم كانوا مسيحيين، انتشر الاضطهاد في كل الربوع الرومانية.

حينئذ ظهر الملاك الجليل ميخائيل لمارجرجس، وأمره بالذهاب إلى الملك الذي أصدر أمره باضطهاد المسيحيين، وأنبأه بما سيناله من عذابات مريرة. ثم هكذا اختتم الملاك قوله: "تشجع يا جراجيوس، لا تخف يا جرجس، لأني معك في كل الشدائد".

وبعد ما قام باكرًا في الصباح، وزّع أولًا ثروته وممتلكاته التي كان قد ورثها، على الفقراء والمحتاجين، وبعد ذلك أبحر في سفينة إلى نيقوميديا بآسيا الصغرى للقاء الإمبراطور. ولما وصلت السفينة، شاهد رجال الإمبراطور يحطمون أبواب الكنيسة، فذهب إلى حيث مجلس الملك. وللوقت، أقبل القديس وصاح بجرأة: "أيها الملك، وأنتم أيها الرومانيون، إلى متى تصبون غضبكم على المسيحيين الأبرار؟". فاستشاط الملك غضبًا وسأله: "من أنت؟ وكيف تجرأت بالدخول هنا؟". أجابه القديس: "أنا جرجس بن أنسطاسيوس والي فلسطين، وقد جئت لأخلص شعبي من عذاباته".

فصاح الملك صيحة غضب، وأمر بأن يدخل القديس السجن. فمضى به العسكر إلى الداخل، وإذ دخل السجن أذاقوه صنوف العذاب، فمزقوا جسده، وجلدوه بالسياط، وألبسوه حذاء من الخشب به مسامير محماة بالنار في قدميه. وكانوا يضربونه على رأسه بقصبة ويبصقون عليه، ثم أمر الملك بأن يربط القديس بحبال مشدودة في دولاب كبير، غرست فيه سكاكين حادة وأشواك حديدية حتى تمزق جسده وتناثر لحمه، ولكن القديس، الذي هو نصير المضطهدين، يحتمل العذاب بشجاعة. وفيما هو كذلك، إذ ظهرت سحابة من رعد قوي، وسمع صوت عظيم قائلًا: "لا تخف يا جراجيوس فإني معك".

وللوقت، شاهدوا القديس معافى ومحلولا من جميع تلك الرباطات التي ربط بها، وأخيرًا ضاق صدر الملك بالقديس، الذي تلقى العذاب بشجاعة، وكتب قائلا: "إن جرجس المالطي المسمي نفسه جليلي (مسيحي) من مدينة كبادوكيه، رفض الملك، وتفوه ضد الآلهة، وأهلكها وكسرها بأعماله السحرية، فالآن أصدرنا قرارنا، بأخذ رأسه بحد السيف". ونال القديس إكليل الشهادة، وكان عمره آنذاك 23 عامًا.

القصد:

ألم مرير، إنك تكون أسير .. متقيدة حريتك وإيديك .. لا النوم ولا الصحيان ولا الأحلام ملك إيديك .. معزول عن العالم، واقف مكانك والحياة بتسير .. السجن وحده عذاب .. وهذا يكفي .. ولو العذاب طال كف اللي بيعذب .. كان كف عن تعذيب أخوه .. وهذا وحده يكفي .. كي يعود إنسان ■

REUTERS

لا مبررات القتل

دائمًا، تبحث البندقية عن كتاب تستند إليه لكي تستمر في العمل. تبحث البندقية دائمًا عن كتاب لكي يجد انطلاق الرصاصة مبررًا، ولكي يجد القتل مبررًا. البندقية أضعف من أن تبقى وحيدة بلا كتاب تستند إليه، فكم تدفع البندقية للكتاب كي يخون ضميره؟ وماذا يقول الكتاب لنفسه عندما يصبح الكاتب هو الضحية؟ هل يستطيع الكتاب، حقًا، أن يجد مبررات للقتل؟ ألم يتعب الكتاب من استناد البندقية عليه؟ ألا يشعر بتمزق صفحاته من ثقل الدم؟

القانون الدولي الإنساني في ألعاب الفيديو

ناقشت الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر خلال مؤتمرها الأخير الذي انعقد في جنيف في تشرين الثاني/ نوفمبر 2011 آثار ألعاب الفيديو التي تحاكي مواقف الحروب الحقيقية، والفرص التي قد توفرها هذه الألعاب لنشر المعرفة بقوانين النزاع المسلح. هنا بعض الأسئلة والأجوبة حول هذا الموضوع.

يمثل الانتشار المتزايد وغير المسبوق لألعاب الفيديو التي تحاكي مواقف الحرب واقعًا جديدًا للجنة الدولية، حيث تكرس له كل عام موارد ضخمة للتعريف بقوانين النزاع المسلح في المدارس والجامعات والمنظمات العسكرية. وقد وجهت اللجنة الدولية، خلال الأنشطة المنظمة على هامش المؤتمر الدولي الحادي والثلاثين للصليب الأحمر والهلال الأحمر، الدعوة للشركاء في الحركة للتفكير في المكانة التي تحتلها القواعد (إن وجدت) في المعارك الافتراضية، سواء في الألعاب أو المحاكيات المستخدمة لتدريب القوات المسلحة. وطُلب من ممثلي الجمعيات الوطنية والحكومات عرض الخبرات المكتسبة من خلال أي اتصالات لهم بصناعة الألعاب، وتقديم آرائهم حول أفضل السبل للوصول إلى مطوري وناشري الألعاب. وأكد المشاركون على ملاءمة القضية وأبرزوا الفرص التي تقدمها ألعاب الفيديو بدلًا من الإشارة إلى التحديات التي تفرضها.

■ لماذا تهتم اللجنة الدولية بألعاب الفيديو التي تحاكي الحروب الحقيقية؟

تهتم اللجنة الدولية بالقضايا المتعلقة بهذا النوع من ألعاب الفيديو، وهي الألعاب التي تحاكي الحرب، حيث يواجه اللاعبون خيارات تشبه تمامًا تلك الموجودة في ساحة معركة حقيقية.

تخضع القوات المسلحة على أرض الواقع لقوانين النزاع المسلح. لذا فقد تؤدي ألعاب الفيديو التي تحاكي الخبرات التي تمر بها القوات المسلحة إلى زيادة الوعي بالقواعد التي يتعين على تلك القوات الامتثال لها متى اشتركت في نزاع مسلح– وهذا من ضمن الموضوعات التي تهتم بها اللجنة الدولية. وهناك في حقيقة الأمر بعض ألعاب الفيديو التي تضع في الاعتبار أساليب تدريب أفراد القوات المسلحة على التصرف في حالات النزاع على أرض الواقع.

ومن ضمن التفويضات التي منحتها الدول للجنة الدولية نشر احترام القانون الدولي الإنساني– وهو ما يعرف أيضًا بقانون النزاع المسلح– والمبادئ الإنسانية العالمية. ونتيجة لهذا التفويض، ونظرًا للتاريخ والخبرة الطويلة لدى اللجنة الدولية في الشئون المتعلقة بالنزاع المسلح، كان تطوير هذه الألعاب من ضمن مجالات الاهتمام الواضحة للجنة.

■ هل تتعاون اللجنة الدولية مع مطوري ألعاب الفيديو لضمان إبراز قانون النزاع المسلح في بعض الألعاب؟

أعربت اللجنة الدولية عن استعدادها للدخول في حوار مع المسؤولين عن صناعة ألعاب الفيديو من أجل دراسة المكانة التي تشغلها القواعد الإنسانية في هذه الألعاب. وترحب اللجنة الدولية ببعض ألعاب الفيديو، التي تدور حول مواضيع لها صلة بالحرب، وتضع في اعتبارها بالفعل قانون النزاع المسلح.

■ ألا ينبغي للجنة الدولية أن تركز اهتمامها على الحروب الحقيقية؟

بالطبع، فالنزاع المسلح وآثاره الإنسانية على أرض الواقع هما في حقيقة الأمر محور اهتمامها الرئيسي.

تنفذ اللجنة الدولية أنشطة إنسانية، من خلال موظفيها البالغ عددهم حوالي 1200 موظف، في حالات العنف المسلح، في جميع أنحاء العالم. وهي في أغلب الأحوال أول منظمة تصل إلى مسرح الأحداث في الأماكن التي تندلع فيها نزاعات، وتلبي احتياجات الأشخاص المحتجزين أو النازحين أو غيرهم من المتضررين من النزاع. كما تسعى جاهدة إلى تحسين الامتثال لقانون النزاع المسلح وبالتالي تسهم في تهيئة بيئة مواتية لاحترام كرامة الأشخاص المتضررين.

■ لماذا تبدي اللجنة الدولية اهتمامًا بألعاب الفيديو، وليس بالكتب أو الرسوم الكاريكاتورية أو المسلسلات التليفزيونية أو الأفلام، على سبيل المثال؟

يتصل باللجنة الدولية من وقت لآخر منتجو الأفلام أو الكتّاب الذي يرغبون في تصوير الأنشطة السابقة للجنة أو النزاعات المسلحة الحالية. لذا كانت للجنة اتصالات بقطاعات مختلفة من عالم الترفيه بخلاف مطوري ألعاب الفيديو. واللجنة الدولية ليست معنية بكافة ألعاب الفيديو– فاهتمامها يقتصر على الألعاب التي تحاكي النزاعات المسلحة. ومنها ما يُصمم ويُنتج في الشركات نفسها التي تطور معارك محاكية للمعارك الواقعية بغرض تدريب القوات المسلحة.

■ ما الأفكار التي طُرحت حول هذا الموضوع في المؤتمر الدولي الحادي والثلاثون للصليب الأحمر والهلال الأحمر؟

عُقد المؤتمر الدولي الحادي والثلاثين في تشرين الثاني/ نوفمبر 2011 في **جنيف**، بهدف تعزيز القانون الدولي الإنساني والعمل الإنساني. وتناول المشاركون على هامش المؤتمر الدور الذي يضطلع به، أو لا يضطلع به، قانون النزاع المسلح في الألعاب المحاكية للحروب. وطرح المشاركون أساليب إبراز القواعد المطبقة على النزاع المسلح في ألعاب المحاكاة. وأخذت هذه الحوارات الهامشية صورة مناقشات غير رسمية لم يتمخض عنها أي قرار أو خطة عمل ■

AFP

العمل الإنساني 2.0: إنقاذ الأرواح بالإنترنت

يتحدث باتريك ماير عن الكيفية التي تستطيع من خلالها الإنترنت وتكنولوجيا الاتصالات أن تساعد العاملين في المجال الإنساني على إنقاذ الأرواح في الميدان.

في يوم من الأيام؛ كانت الإنترنت مكانًا سلبيًا نسبيًا. فقد لعبت الشبكة العنكبوتية العالمية دور النافذة التي يلتمس الناس المعلومات من خلالها. أما الآن؛ فإنها أصبحت أكثر تفاعلية. ويمكن للويب 2,0 (مصطلح يعبر عن تقنيات الويب التفاعلية التي تسمح بتشارك متبادل أوسع للمعلومات –كما تسمى أحيانًا هذه المنصة الرقمية دائمة التطوّر– أن تكون بمثابة مساحة للعمل التعاوني، ويمكن من خلالها تبادل المعرفة والبيانات والخبرات من قبل أي شخص، في أي مكان، وأي وقت.

فبعد زلزال هاييتي في العام 2010، على سبيل المثال؛ أنشأ **باتريك ماير** ومتطوعون** آخرون خرائط للأزمات على شبكة الإنترنت مكنت الضحايا، وعمال الإغاثة من استخدام هواتفهم الجوالة لنشر بيانات لحظية حول مواقع الأشخاص الذين يحتاجون إلى المساعدة. يقول **ماير** إنه يمكن أن يكون للتقنية الحديثة تأثير بالغ على العمل الإنساني في الميدان.

أظهرت خرائط الأزمات أن باستطاعتها دعم الناس في مختلف الأزمات، ولكن هل لها تأثير ملموس على تقديم المساعدات الإنسانية على الأرض؟

لا يزال هذا الحقل جديدًا نسبيًا، وما زلنا في البدايات. مر عامان على زلزال هاييتي؛ حيث بدأت فكرة خرائط الأزمات إلى حد ما، وفي حينها لم تكن هنالك إجراءات تشغيل قياسية حول كيفية العمل مع خرائط الأزمات. وهذا لأنه لم يسبق لأحد القيام بذلك من قبل، ولم تكن المنظمات الإنسانية هي من أنشأها أساسًا؛ بل قام بذلك طلاب متطوعون ومغتربون هاييتيون اجتمعوا معًا وأنشأوا خريطة حية للأزمة، واستغرق الأمر حوالي عام لتدرك أول منظمة للمساعدة الإنسانية قيمة هذه التقنيات (المعلومات المأخوذة من الجماهير وتقنيات المعلومات الجغرافية).

ونحن نعلم أن أول المستجيبين لما حدث في هاييتي، وهم في هذه الحالة حرس السواحل الأمريكي وقوات البحرية، طلبوا بشكل حثيث هذه المعلومات، واستخدموها في جهودهم الخاصة بالبحث والإنقاذ.

أما خريطة الأزمة الليبية؛ فنعلم أنها استخدمت في إنتاج المعلومات الرسمية من قبل مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية للأمم المتحدة، والتي جرى تداولها في ليبيا من قبل مسؤولي المعلومات في الأمم المتحدة، ويتعين الآن على الأمم المتحدة، وكل من يستعمل خرائط الأزمات أن ينظر إلى تأثير هذه المعلومات على قراراته.

ما مدى مصداقية هذا النوع من المعلومات المقدمة من المتطوعين في الميدان؟

خلال الأيام الأولى من أية أزمة لا تكون المعلومات الواردة من الميدان كاملة أو دقيقة؛

* نشرت هذه المقالة في العدد الأول للعام 2012 من مجلة الصليب الأحمر والهلال الأحمر

** لمعرفة المزيد عن التطوع الافتراضي يمكن مراجعة مدونة باتريك ماير على العنوان التالي: http://irevolution.net

وللمعلومات عن الجمعيات الوطنية أو للمتطوعين الذين يرغبون في الانضمام: http://blog.standbytaskforce.com

لكن خلال العام والنصف الماضيين، حدث تغيير إيجابي كبير في فهم البيانات والتعامل معها من قبل المنظمات الإنسانية.

وجميعنا يدرك أن هناك مستويات مختلفة من المعلومات والمصداقية في البداية، وهنالك أهمية لأن تكون لدينا عدة مصادر من المعلومات الواردة، وأن نستخدمها لرسم صورة أوسع لما يجري على الأرض، ولا بد من القول إنه من الأفضل أن نحصل على بعض المعلومات بدلًا من لا شيء على الإطلاق، ويمكن دائمًا التحقق من مصداقية التقارير حينما تتوفر بعض الأدلة.

كيف يمكنك مواجهة المخاوف من ألا تكون "الجماهير" -هؤلاء الذين يساهمون بالمعلومات عبر هواتفهم الجوالة أو أجهزة الكومبيوتر- يمثلون في الحقيقة من هم في أشد الحاجة، وليس فقط أولئك الذين لديهم إمكانية استعمال التقنيات الحديثة؟

هذا صحيح؛ المصادر الجماهيرية ليست عينة عشوائية. ولكل أسلوب لأخذ العينات بعض المزايا وبعض العيوب، وإحدى مزايا المصادر الجماهيرية هي أنها تحصل على المعلومات بسرعة، ولكن يمكن ألا تعبر دومًا عن جميع السكان.

هنالك مقايضات في كل مرة تجمع فيها المعلومات من مجموع السكان؛ مثل التوقيت، والجهود، والتكاليف على سبيل المثال، وعليك أحيانًا أن تختار ما هو مقبول؛ طالما أنك تتبع الشفافية في كلٍ من أساليبك وأوجه النقص لديك. لن تحل المصادر الجماهيرية للمعلومات كل المشاكل؛ لكنها وسيلة إضافية لتجميع المعلومات.

مع ازدياد عدد الأشخاص الذين يشتركون في المصادر الجماهيرية للمعلومات؛ هل هناك خطر من ارتفاع مستوى التوقعات لدى من يرسلون البيانات أو التقارير؟

أي نوع من التدخل الإنساني سوف يرفع مستوى التوقعات؛ هذه هي طبيعة عملنا؛ لذلك فإن السؤال يصبح: كيف يمكننا إدارة هذه التوقعات بأفضل طريقة؟ كان أحد الأشياء التي قمنا بها خلال أزمة هاييتي هي تثقيف الجمهور (عبر محطات الإذاعة في هذه الحالة) حول الهدف من هذه الخرائط.

باتريك ماير

أمضيت ساعات على محطات مختلفة، وأنا أشرح أنها خدمة معلومات، وأنها لا تضمن الاستجابة. يعطي مجتمع العمل الإنساني الأولوية للطلبات الأكثر إلحاحًا في حالات الحياة أو الموت، ويتفهم الناس هذا الأمر، ولكن يجب إعلامهم بذلك؛ عليك أن تكون صريحًا، وشفافًا، وصادقًا حول حدود الاستجابة التي يمكن توقعها.

مصطلحات

ويب 2.0: مصطلح يعبر عن تقنيات الويب التفاعلية التي تسمح بتشارك متبادل أوسع للمعلومات والأفكار.

المصادر الجماهيرية للمعلومات: استخدام مساهمات البيانات، أو عبء العمل، أو الخبرات التي يوفّرها عدد ضخم من الأشخاص (الجموع) عبر الإنترنت أو تقنيات الاتصالات الأخرى.

خرائط الأزمات: كانت الخرائط تستخدم دائمًا لإدارة الأزمات. أما اليوم؛ فقد أصبحت خرائط الأزمات تستخدم نظام تحديد المواقع العالمي، وتقنية الاتصالات؛ بحيث يمكن لأي مستخدم للهاتف المحمول أو للإنترنت المساهمة في إضافة البيانات اللحظية للخرائط المتوفرة على الإنترنت؛ بحيث تستطيع تلك الخرائط إعطاء عمال الإغاثة صورة عن الأمور الأكثر ضرورة والأماكن التي تحتاجها.

«توكيل الآخرين بالمهام الصغيرة» (micro–tasking): تقسيم المهام الكبيرة إلى أجزاء صغيرة يتم إنجازها من قبل عدد كبير من الناس متصلين غالبًا عبر شبكة الإنترنت.

هل يمكن استخدام هذا النوع من التقنية في بيئات النزاعات أيضًا؟

العمل في حالات الصراعات أمر آخر مختلف تمامًا، وأحيانًا لا يكون المصدر الجماهيري للمعلومات خيارًا مطروحًا عند وجود مزيج من المخاوف: السلامة، والخصوصية، والأمان.

ومع ذلك؛ فهنالك بعض الاحتياطات التي يمكن أن تساعد المستخدمين: أحدها هو التحكم في الوصول إلى البيانات مع الاستمرار بتوفير المعلومات للأشخاص المعنيين؛ ففي حالة خريطة الأزمة الليبية كانت هنالك نسخة عامة ونسخة خاصة من الخريطة؛ مع تأخير زمني وحذف لمواقع المصادر على النسخة العامة. ولكن فعالية هذه الآليات مرتبطة بسلوكيات مستخدميها؛ يمكنك أن تمتلك كل الأمان التكنولوجي في العالم، ولكن إذا دخل المستخدمون عن طريق مقاهي الإنترنت وتصادف أن كان المسؤولون الحكوميون يراقبونهم؛ فلن تكون المنظومة في مأمن عندها، وقد يتعرض البعض للخطر.

ما هي التقنيات الحديثة الأخرى التي تراها تدخل مجال العمل الإنساني؟

عملت بنشاط من أجل ردم الهوة بين مجتمع التكنولوجيا ومجتمع العمل الإنساني على مدى الأعوام الخمسة الماضية، وأنا متحمس لإيجاد تطبيقات تجارية ربحية يمكنها أن تساعد العمل الإنساني. وأحد أفضل الأمثلة على ذلك هو «توكيل الآخرين بالمهام الصغيرة» (micro–tasking). فعلى سبيل المثال؛ استخدم مكتب المفوضية العليا للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين طريقة "توكيل الآخرين للقيام بالمهام الصغيرة" لتحليل صور الأقمار الصناعية في الصومال؛ فمن خلال النظر إلى صور الأقمار الصناعية وعدّ الملاجئ في **ممر أفجوي**، استطاعوا أن يحصلوا على تقديرات عملية (عن عدد الأشخاص المهجرين)، والمشكلة أنه في السابق كان الأمر يستغرق شهرًا كاملًا من موظفين اثنين لعدّ جميع الملاجئ ووضع علامات عليها في صور الأقمار الصناعية، وعندما طبقوا طريقة «توكيل الآخرين بالمهام الصغيرة» على نفس العملية، انتهى مئات المتطوعين حول العالم من التحليل خلال أيام قليلة؛ بقدر أعلى من الدقة، ودون مقابل ■

عبدالقادر كلهور*
أحمد مرسي**

هل تحمل سلاحًا؟

نعم، ... أحمل قلمًا

يقال إنه لا أساس معقولا لأي حرب أو نزاع مسلح. والكارثة الأكبر هي التأثيرات التي تخلفها النزاعات المسلحة، والتي لايسلم لا الأفراد ولا المجتمعات من آثارها السلبية الكثيرة. ابتليت مدينتي التي أعيش فيها بنزاع مسلح بين طرفين، يعتبر كل منهما نفسه على حق، وأنه لابد أن ينتصر. وكانت وجهة نظري ككاتب أن الجانبين كانا خاسرين، وأن الخاسر الأكبر هو نحن، المدنيين الذين لاحول لهم ولا قوة. كان ذلك النزاع المسلح قد وصل إلى ذروته، وإحدى الجهتين المتنازعتين كانت تنوى شن هجوم كبير وحاسم على آخر معقل مستمر في المقاومة للطرف الآخر في المدينة. ومن سوء حظي أن منزلنا كان قريبًا جدًا من ذلك المعقل الذي كان مقررًا شن الهجوم عليه. كانت الشمس قد بدأت بلملمة أشعتها وتستعد للغروب، في ما أخذ الظلام، الذى بدأ يغطي المدينة بجناحه، يدق طبول الحرب شيئًا فشيئًا، أما فى الساحة الكبيرة التي كانت تتوسط المدينة فلم تكن تسمع سوى أحاديث عن الحرب والقتال.

ومضى ذلك اليوم أيضًا بدون صدور الصحيفة اليومية، في ما كان الكتاب يبيعون كتبهم فى المزاد، وعدد لابأس به من الموسيقيين والملحنين منشغلون بوضع الألحان للأناشيد الحربية. وكنت ترى الرسامين يبيعون اجمل وأغلى لوحاتهم بأثمان زهيدة، أما شاشات التليفزيون فلم تكن ترى فيها غير عرض كئيب لمناظر الجثث المحروقة وأسرى حرب لا تعرف ما إذا كانوا على قيد الحياة بعد أخذ صورهم أم لا، ناهيك عن مشاهد لأطفال حفاة بعيون دامعة.

فى هذه الأثناء كنت أسير باتجاه منزلنا بخطًى متثاقلة، وكانت الأفكار المشوشة تزدحم في تفكيري ومخيلتي. وفي ما كنت أسير ببطء، استوقفني مسلحون، وبصوت خشن مليء بكراهية شديدة بادروني بالسؤال: «هل تحمل سلاحًا؟» أجبتهم بهدوء: «نعم».

صاح بي أحدهم: «ضع سلاحك»، فمددت يدي إلى جيبي وأخرجت القلم الذي كان فيه، وقلت: «تفضل». استشاط المسلح غضبًا وبدأ بالصراخ علي، ولكن بصوت أعلى من السابق: «هل تسخر منا؟ من أنت؟ وماهو عملك؟»

أنا كاتب.

أحد المسلحين قال لآخر بدا مسؤولاً عنهم: هل أقتله؟

أجابه: تمهل

سألوني ثانية: إلى أين تذهب؟

المنزل

ولماذا تأخرت فى العودة؟

وهل تحتاج العودة إلى المنزل وقتًا محددًا؟

نعم، إنها أوقات حرب.

كانت الحرب شيئًا مهمًا، بل ومقدسًا بالنسبة لهم، وعرفت

* كاتب صحفي من كردستان العراق
** رسام مصري مقيم في الولايات المتحدة الأميركية

السبب فيما بعد، فللحروب أيضًا تجارها، وما لا قيمة له لدى تاجر الحرب هو الإنسان وحياته.

هذه المرة نظروا إليّ بسخرية واستخفاف، وقال أحدهم: "هرب أغلب المقيمين في هذه المنطقة وتركوا منازلهم، فلماذا لم تهرب؟". أجبتهم مبتسمًا: "أهرب من مدينتي؟ إلى أين؟" وربما كان من حسن الطالع أنني فجأة لم أعد أثير اهتمامهم، فصاح بي كبيرهم بغضب، وبصوت عال: "اذهب من هنا بسرعة، هيا تحرك". وليتهم ظهري،غير مطمئن، فربما يقرر أحدهم إطلاق النار عليّ من قبيل التسلية والمرح.

لم يستغرق وصولي إلى المنزل وقتًا طويلاً، وبدت ساعات الليل الطويلة كئيبة، وما إن آوى الأطفال إلى الفراش، وبدأ الوقت يقترب من منتصف الليل، حتى هزت أصوات القذائف والانفجارات أنحاء المكان، وعلت أصوات مختلف الأسلحة لتكسر صمت ليل المدينة الكئيب وتملأ سماءها بالدخان الأسود الذي تفوح منه رائحة الموت.

إنها الحرب، وفي ليالي الحروب تطغى أصوات الجدَات

وهن يقصصن للأحفاد قصص ما قبل النوم، ويجوب القتلة الشوارع الفارغة إلا منهم، يزرعون الموت والدمار.

بدأ الوقت يقترب من الفجر، حاصرنا الرصاص والقذائف، فلم تكن تسمع غير صياح القتلة وصراخهم، وعويل الأطفال والنساء. إنها سيمفونية حزينة جدًا ومخيفة في آن....

آه من هذه الليلة الطويلة!

بدأت أشعة الشمس تغسل وجه الصباح وأطل قرصها المتوهج علينا في الأفق البعيد. إنه ليس صباحًا عاديًا بالتأكيد، حاله كحال الليلة التي قضيناها في الخوف والقلق وانتظار المجهول. وبالفعل، كشف النهار عما حدث في الليل من جرائم: جيراننا يرتفع صراخهم وعويلهم على ابنتهم الوحيدة التي قضت على شبابها قذيفة طالت بيتهم. أما المنزل الذي كان يقع خلف منزلنا مباشرة، وكان أهله قد تركوه في اليوم السابق، للنجاة بأنفسهم، فقد تعرض للنهب والسرقة. منزل ثالث قريب من منزلنا تحول إلى أنقاض... ذلك العجوز الذي كان يسكن قريبًا من منزلنا، وبقي وحيدًا في المنزل منذ يومين توفي في غرفته بصمت لعدم تلقيه دواءه... والدة أحد أصدقائي كانت قد خرجت تنتظر مجيئه قريبًا من باب الدار، فبترت قذيفة يديها، وآخر..... مآس ومآس لا تحصى.

وسط هذه التراجيديا، كان هناك طفل يحمل مذياعًا، وصوت المذيع يأتي مزمجرًا، وهو يقرأ بحماسة بيانًا يردد فيه ما حدث من معارك في الليلة الماضية، واصفًا إياها بالانتصار الكبير لقواتهم.

واليوم وبعد أن سكتت البنادق، وبعد أن بات أعداء الأمس أصدقاء على مائدة المصالح، لم نعد نسمع من طرفي ذلك النزاع المسلح الدامي من يذكرون قتلاهم أو يتذكرونهم حتى، لكن الأم التي خسرت وحيدتها مازال الألم يعصر قلبها.. والعجوز الذي مات في صمت لم يعد أحد يتذكره.. والمنزل الذي تحول إلى أنقاض وقع ضمن الأراضي التي خصصت لمشروع سياحي... ووالدة صديقي التي بُترت يداها باتت تعتمد على حفيدتها الصغيرة لقضاء حاجاتها.

ماحدث في تلك الليلة من مآس لم يكن سوى صفحة سوداء من صفحات الحرب التي غالبًا ما تكون الحقيقة أولى ضحاياها ■

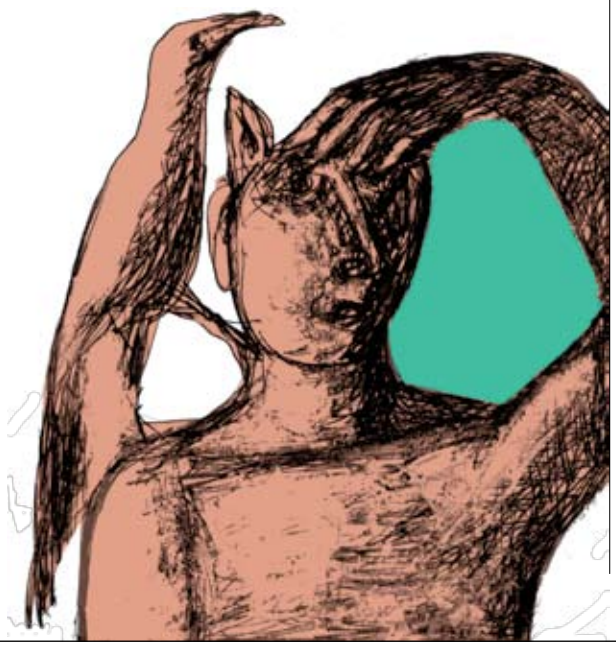

شعر

عمر شبلي*
رسم: أحمد عبد العزيز**

محاولة ضد الموت***

لقد توكأت على جرحي عشرين عامًا إلى أن وصلتُ
من الأزل، الحبُّ والموتُ ضدان،
هذا بقاءٌ وذاك زوال.
ألا أيها النازحون عن القلبِ عودوا،
لكي لا أموت.
لقد كنتُ أحملُكمْ في المحطّات،
كانت روائحُكم في ثيابي، وصدري
وأحفظُها كاليواقيت، كالدمعِ،
إنَّ الحنينَ بيوت.
كنتُ آوي إليها مع الليل ثمّ أمارسُ دفئي
بأسلوبِ من كان في أهله ويحاولُ ألاَّ يموت.
كان أهلي يجيئون كلَّ مساء،
وحين يدقُّ المحقّقُ بابي أخبِّئهمْ في ضلوعي،
ولكنّه كان يبصرهمْ في دموعي،
ويسألني كيف جاؤوا، ومن أين جاؤوا؟!!
ـــ هو الحبُّ يا سيّدي ،
يفتحُ البابَ ليلًا بمفتاحِ قلبي،
وهمْ يعرفون مكاني،
ولستَ تراهمْ، ولستَ تراني،
لأنّنا نكونُ معًا خارجَ السجنِ،
أنت لك القفلُ، والقفلُ يا سيِّدي من حديد،
وهم في الأثير يجيئون عبرَ شرايين قلبي،
وحين تجيءُ تصيرُ دموعي مرايا، فتبصرهم، غيرَ
أنّكَ أعجزُ من أن تصادرَ ما تركوهُ بصدري،
همُ يدخلون ، برغمِ سماكةِ بابكَ، من بابِ حبّي...

* عمر شبلي شاعر وكاتب لبناني من مؤلفاته «العناد في زمن مكسور» و«إن الخلود متاعٌ سعره الجسدُ» و«الحجر الصبور» و«على أي جرح توكأت حتى وصلت؟» و«الطريق من غوانتانامو إلى أبو غريب» وترجم عن الفارسية أشعارًا للشاعر الإيراني حافظ الشيرازي.
** فنان تشكيلي وسينمائي يمني.
*** مقتطفات من نص نشر في ديوان «على أي جرح توكأت حتى وصلت؟»

ICRC

كلاوس شبرايرمان وممدوح الولي

القاهرة:

تدريب 160 صحافيًا على الإسعافات الأولية

وقعت اللجنة الدولية اتفاقية مع نقابة الصحافيين المصرية لتدريب أعضائها على الإسعافات الأولية وتعريفهم بشكل عام بالقانون الدولي الإنساني والحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر، وكذلك السلامة المهنية للصحفيين أثناء تغطية الاضطرابات والنزاعات. وقع الاتفاقية رئيس بعثة اللجنة الدولية في القاهرة **كلاوس شبرايرمان** ونقيب الصحفيين المصريين **ممدوح الولي**.

تتضمن الاتفاقية تنظيم ثماني دورات لتدريب 160 صحافيًا مصريًا على مهارات الإسعافات الأولية، تستمر كل منها لأربعة أيام بحيث تخصص ثلاثة أيام منها للتدريب على الإسعافات الأولية، واليوم الأخير للتعريف بالقانون الدولي الإنساني والحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر، والسلامة المهنية.

تعقد الدورات في مقر النقابة، ويتولى التدريب مدربون وأطباء متخصصون في الإسعافات الأولية من الهلال الأحمر المصري، بالإضافة إلى مدربين من اللجنة الدولية ونقابة الصحفيين.

وتعد هذه الاتفاقية إحدى ثمار الاتفاقية الموسعة التي وقعتها اللجنة الدولية مع جمعية الهلال الأحمر المصري للتعاون في عدة مجالات هذا العام.

الدوحة:

تدريب على إدارة المخيمات والكوارث

قامت البعثة الإقليمية للجنة الدولية في دول مجلس التعاون الخليجي بتقديم الدعم والمشاركة في التدريب في موقع العمل الذي نظمه الهلال الأحمر القطري حول موضوع «إدارة المخيمات والكوارث» في الفترة من 1 إلى 8 نيسان/أبريل 2012. وتولى الهلال الأحمر القطري تنظيم هذا التدريب الميداني بدعم من الاتحاد وبمشاركة ست جمعيات وطنية وأكثر من عشر منظمات قطرية. وشارك في التدريب أكثر من مائة متطوع ومشارك.

قدمت اللجنة الدولية تدريبًا في مجالات القانون الدولي الإنساني، و"الوصول الأكثر أمانًا" والحركة الدولية، واستعادة الروابط الأسرية، وأنشطة اللجنة الدولية في مجال الماء والإسكان.

ICRC

بغداد:

محاضرات حول القانون الدولي الإنساني والشريعة

ICRC

التقى مندوبو اللجنة الدولية الدكتور الشيخ **عبدالله جلال مخلف** مديرالوقف السني بمدينة **الرمادي** في محافظة **الأنبار**، في 23 نيسان/ أبريل 2012. واستعرض الشيخ **عبدالله** أهمية دور اللجنة الدولية وعملها في العراق منذ الثمانينيات خلال الحرب العراقية الإيرانية، مشيرًا إلى عمل اللجنة الدولية في محافظة **الأنبار** منذ العام 2008 وإلى الآن. في أعقاب اللقاء قدم الدكتور **عامر الزمالي**، المستشار الإقليمي للجنة الدولية في شؤون القانون الدولي الإنساني والعالم الإسلامي محاضرة عن علاقة الشريعة بالقانون الدولي الإنساني حضرها أكثر من 35 شخصًا بينهم رجال دين وقضاة وأساتذة جامعات فضلًا عن شيوخ يمثلون أقضية محافظة **الأنبار**.

كما ألقى الدكتور **عامر الزمالي** محاضرة مماثلة وفي 24 نيسان/ أبريل، أمام حشد كبير من طلبة كلية الإمام **أبو حنيفة النعمان** في **الأنبار**، وحضرها عميد الكلية إلى جانب عدد من الأساتذة فيها. وشهدت المحاضرتان مناقشات وأسئلة دارت حول طبيعة عمل وأنشطة اللجنة الدولية بصورة عامة. ولاقت المحاضرتان صدى كبيرًا في **الأنبار** خاصة بين المهتمين بمجالات القانون الدولي الإنساني والشريعة وحقوق الإنسان، وتم التأكيد على تنظيم المزيد من المحاضرات المماثلة في المحافظة في المرات المقبلة.

وبالتعاون مع كلية القانون بجامعة **تكريت**، عقدت اللجنة الدولية – بعثة العراق– في 26 نيسان/ أبريل 2012 ندوة حول القانون الدولي الإنساني أدارها الدكتور **الزمالي**، واستمع إليها 80 شخصًا بين أستاذ وطالب من طلبة السنة الرابعة بكلية القانون. وتم فيها مناقشة الكثير من القضايا المتعلقة بالقانون الدولي الإنساني.

وفي الخامس والعشرين من نيسان/ أبريل 2012 ، كانت كلية القانون بالجامعة العراقية **ببغداد** على موعد مع مندوبي اللجنة الدولية، الذين كان في استقبالهم عميد الكلية وأساتذتها فضلًا عن عدد كبير من طلبتها. وقدم الدكتور **الزمالي** محاضرة بعنوان "القانون الدولي الإنساني وعلاقته بالفقه الإسلامي".

صنعاء:

دورات في الإسعافات الأولية

تواصل بعثة اللجنة الدولية للصليب الأحمر في اليمن تنظيم دورات الإسعافات الأولية بالتعاون مع جمعية الهلال الأحمر اليمني ومكاتب الصحة وذلك لتطوير مهارات الإسعافات لدى العديد من الجهات في البلاد، ولتدريب وتأهيل المدربين في مجال الإسعافات الأولية على كيفية التعامل مع الإصابات.

وقد نظمت البعثة مؤخرًا دورات تدريبية في مجال الإسعافات الأولية في محافظتي صنعاء وعدن، استهدفت الدفاع المدني ومتطوعي الهلال الأحمر اليمني واللجان الطبية الميدانية لمساعدتهم على الاستجابة لأكثر الاحتياجات إلحاحًا. وكانت الحاجة إلى هذه المهارات ظهرت في أكثر من مناسبة لتقديم الرعاية لأعداد كثيرة من الجرحى الذين سقطوا أثناء المظاهرات التي شهدتها المدن الرئيسية في البلاد خلال العام الماضي.

وتخللت الدورات محاضرات حول الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر إلى جانب عرض لأنشطة بعثة اللجنة الدولية في اليمن.

ICRC

تدريب عملي افتراضي على الإسعافات الأولية

ICRC

أربيل:

ورشة في القانون الدولي الإنساني لتدريب مدربي قوات البيشمركة

نظم قسم الإعلام في البعثة الفرعية للجنة الدولية في **أربيل**، ومندوب اللجنة الدولية إلى القوات المسلحة **رويل بلاك** ورشة لتدريب المدربين الذين يقومون بمهمة التعليم في مراكز التدريب التابعة لقوات البيشمركة في إقليم كردستان في العراق، وذلك في الفترة من 21 إلى 26 نيسان/ أبريل 2012.

تضمن برنامج الورشة، إلقاء محاضرات على المشاركين، الذين بلغ عددهم 16 مدربًا، في القانون الدولي الإنساني، القانون الدولي لحقوق الإنسان، الحركة الدولية للهلال الأحمر والصليب الأحمر، وأنشطة اللجنة الدولية.

وهذه هي المرة الأولى التي تُنظم فيها ورشة من هذا النوع لشريحة مستهدفة كهذه على أن تتبعها ورش مماثلة للمدربين في الربع الأخير من العام الحالي.

وكان الهدف من تنظيم ورشة تدريب المدربين هو تمكين المشاركين فيها من تدريس القانون الدولي الإنساني لقوات البيشمركة بشكل موجز وإدارة ورش مستقلة بهذا الخصوص لمدربين آخرين في المستقبل.

يذكر أن وزارة البيشمركة أنشأت لجنة لحقوق الإنسان تقوم بالتنسيق مع اللجنة الدولية من أجل تسهيل وتنظيم ورش العمل والندوات اللازمة ضمن هذا الإطار. ومن المتوقع أن يتم تنظيم ورشة ثانية في كانون الأول/ ديسمبر المقبل لينخرط فيها مدربون آخرون من قوات البيشمركة.

الكويت:

ورشة عمل حول «الكوارث والأزمات الإنسانية»

نظمت البعثة الإقليمية للجنة الدولية لدول مجلس التعاون الخليجي في **الكويت** ورشة عمل حول «الكوارث والأزمات الإنسانية» بالتعاون مع **جمعية الهلال الأحمر الكويتي** في الفترة من 8 إلى 12 نيسان/ أبريل 2012.

وتهدف الورشة إلى تطوير ودعم قدرات وهيكل جمعية الهلال الأحمر الكويتي في مجال الاستعداد والاستجابة للطوارئ، بالإضافة إلى إكساب متطوعيها المعرفة والمهارات، ومن ثم تطوير قدراتهم كخطوة أولى نحو تمكين جمعية الهلال الأحمر الكويتي من تحقيق أهدافها وتطوير برنامجها وهيكلها في مجال إدارة الكوارث.

ومن بين الموضوعات التي تضمنها التدريب مفاهيم إدارة الطوارئ، والقانون الدولي الإنساني، وتقييم الاحتياجات الطارئة، وعملية وضع خطط الطوارئ، واستعادة الروابط الأسرية بالإضافة إلى «معايير أسفير» التي تهدف إلى تحسين جودة المساعدات المقدمة للأشخاص المتضررين من الكوارث وتحسين مساءلة الدول والمنظمات الإنسانية أمام الجهات المانحة والسكان المتضررين. وكان مشروع أسفير قد انطلق في العام 1997 بواسطة مجموعة من المنظمات الإنسانية غير الحكومية والحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر، وهو يقوم على أساس معتقدين رئيسيين: الأول: ضرورة اتخاذ جميع الخطوات الممكنة للتخفيف من المعاناة الإنسانية الناشئة عن الكوارث والصراعات، والثاني: أن المتضررين من الكوارث لهم الحق في الحياة بكرامة ولهم حق الحصول على المساعدة. شارك في ورشة العمل حوالي 40 متدربًا.

دهوك:

احتفال باليوم العالمي لحركة الهلال الأحمر والصليب الأحمر

نظمت جمعية الهلال الأحمر العراقي في محافظة **دهوك** احتفالية خاصة بمناسبة الثامن من أيّار/مايو، اليوم الذي شهد تأسيس الحركة الدولية للهلال الأحمر والصليب الأحمر. تضمنت الاحتفالية، التي حضرها ممثلون عن الحكومة المحلية والمنظمات غير الحكومية في المحافظة، مسرحية قدمها ثلاثة من متطوعي الهلال الأحمر، بينما عرض آخرون تجاربهم في ميدان العمل التطوعي، إضافة إلى استعراض أنشطة كل من اللجنة الدولية للصليب الأحمر وفرع جمعية الهلال الأحمر في **دهوك**.

جزيرة كيش:

أول دورة تدريبية إقليمية حول القانون الدولي

ICRC

اجتمع في جزيرة «**كيش**» الإيرانية خبراء من 11 دولة للمشاركة في دورة تدريبية بعنوان «حلقة تعليمية لجنوب آسيا حول القانون الدولي الإنساني» نظمتها اللجنة الدولية للصليب الأحمر وجمعية الهلال الأحمر الإيراني وجامعة طهران بين 27 نيسان/أبريل و4 أيار/مايو 2012.

يقول رئيس بعثة اللجنة الدولية في **طهران بيار ريتر** «**إن القواعد الحالية للقانون الدولي الإنساني ترد في عدد من المعاهدات وهي تتناول مسائل تتراوح بين الحظر المفروض على استخدام أسلحة بعينها – تلك التي تسبب أضرارًا عشوائية، وآلامًا غير مبررة – وصولاً إلى حماية ضحايا النزاعات المسلحة**». وأضاف **ريتر** في كلمته الترحيبية «**إن جزءًا مهمًا من مهمة اللجنة الدولية هو نشر المعرفة وتعزيز تنفيذ القانون الدولي الإنساني.**»

شارك في هذه الدورة أكثر من 70 شخصًا من بينهم أفراد من الجيش ومسؤولون حكوميون وأكاديميون من دول جنوب آسيا: أفغانستان وبوتان وبنغلادش والهند والمالديف وميانمار ونيبال وباكستان وسريلانكا ومن إيران وطاجيكستان. وقد عقدت باللغتين الفارسية والإنكليزية.

يقول **والتر فولمان**، رئيس بعثة اللجنة الدولية في الأمم المتحدة في **نيويورك** وأحد المحاضرين في الدورة أن «**أحد الأهداف الرئيسية لمثل هذه الدورات هو تعزيز تبادل الخبرات بين الدول المشاركة في ما يتعلق بتنفيذ أحكام القانون**». وهذه هي المرة الأولى التي تستضيف فيها إيران هذه الدورة الإقليمية. ومن بين المواضيع التي ناقشتها حماية المدنيين والمباني ذات الأهمية الثقافية، وجرائم الحرب والمحاكم الجنائية الدولية، وحماية المرأة خلال النزاعات المسلحة..

بعثات اللجنة الدولية للصليب الأحمر في المنطقة

القاهرة: 33 شارع 106 حدائق المعادي، 11431 القاهرة، ج م ع
هاتف: 25281540/25281541 (202+) فاكس: 25281566 (202+)
البريد الإلكتروني: cai_lecaire@icrc.org

عمّان: دير غبار، حي الديار، شارع يوسف أبو شحوت صندوق بريد 9058 عمان 11191
هاتف: 5921472/4604300 (9626+) فاكس: 5921460 (9626+)
البريد الإلكتروني: amm_amman@icrc.org

بغداد: (بغداد) العلوية: ص.ب 3317
هاتف: 01964615 (964 78+)
(عمّان): شرق أم أذينة، ش البصرة، بالقرب من فندق الفور سيزونز، بناية رقم 14 ص. ب. 9058 عمّان 11191 الأردن
(عمّان): هاتف: 65523995 (962+) فاكس: 65523954 (962+)
البريد الإلكتروني: bag_bagdad@icrc.org

دمشق: أبو رمانة، ساحة الروضة، شارع مصر، بناء الجرد، الطابق الثالث صندوق بريد 3579
هاتف: 3310476/3339034 (96311+) فاكس: 3310441 (96311+)
البريد الإلكتروني: dam_damas@icrc.org

الأراضي الفلسطينية المحتلة: شارع النبي شعيب رقم (8) منطقة الشيخ جراح، القدس 91202، صندوق بريد 20253
هاتف: 5917900 (9722+) فاكس: 5917920 (9722+)
البريد الإلكتروني: jer_jerusalem@icrc.org

بيروت: بناية منصور، شارع السادات، الحمرا، صندوق بريد 7188–11
هاتف: 739297/739298/739299(9611+) فاكس: 740087(9611+)
البريد الإلكتروني: bey_beyrouth@icrc.org

الخرطوم: العمارات شارع رقم 33 – منزل رقم 16 – الامتداد الجديد
صندوق بريد 1831 – 11111 الخرطوم
هاتف: 65/476464 (249183) + (خمس خطوط) فاكس: 467709 (249183+)
البريد الإلكتروني: khartoum.kha@icrc.org

تونس: بعثة إقليمية، (تغطي أنشطتها: تونس – المغرب – ليبيا – موريتانيا – الصحراء الغربية) المندوبية الإقليمية بتونس نهج بحيرة كنستنس، رواق البحيرة عمارة أ، ضفاف البحيرة تونس 1053
هاتف: 960179/960154/960196 (21671+) فاكس: 960156 (21671+)
البريد الإلكتروني: tun_tunis@icrc.org

الجزائر: 42 شارع المعز ابن باديس بوارسون سابقًا - الأبيار – الجزائر
صندوق بريد : 16606 الجزائر
هاتف : 03 43 92 21 / 73 40 92 21 (213+) فاكس: 18 43 92 21 (213+)
البريد الإلكتروني: alg_alger@icrc.org

صنعاء: شارع بغداد، رقم 19، منزل رقم 20 صندوق بريد: 2267 صنعاء
هاتف: 4/467873 / 44 38 21 (9671+) فاكس: 75 78 46 (9671+)
البريد الإلكتروني: san_sanaa@icrc.org

الكويت: البعثة الإقليمية لدول مجلس التعاون الخليجي (تغطي أنشطتها: الكويت، السعودية، الإمارات العربية المتحدة، قطر، البحرين، سلطنة عمان) الجابرية، قطعة 5، شارع رقم 3، منزل رقم 32 صندوق بريد: 28078 – الصفاة 13141
هاتف: 53220612 / 53220622 / 53220982 (965+) فاكس: 25324598 (965+)
البريد الإلكتروني: kow_koweitcity@icrc.org

بعثة الصومال: Denis Pritt Road، صندوق بريد: 73226 – 00200 نيروبي، كينيا
هاتف: 301 2719 (25420+) فاكس: 13731 27 (25420+)
البريد الإلكتروني: somalia@icrc.org

طهران: طهران، إلهيه، شارع شهيد شريفي منش، زنقة آذر رقم 4، قرب مستشفى أختر.
الرمز البريدي: 1964715353
هاتف: 4–21 22645821 (98+) فاكس: 21 22600534 (98+)
البريد الإلكتروني: Teh_teheran@icrc.org

موريتانيا: مقاطعة ن الشمال 182 مقسم ب صندوق بريد: 5110 نواكشوط
هاتف: 38 447 52 (222+) فاكس: 97 446 52 (222+)
البريد الإلكتروني: nou_nouakchott@icrc.org

فيلم: المعركة ضد الصرف الصحي في غزة

لتحسين إدارة مياه الصرف الصحي وتوفير مياه نقية للشرب لمئات الآلاف من سكان مدينة غزة ورفح وخان يونس وبيت حانون وجباليا، قامت اللجنة الدولية للصليب الأحمر بالشراكة مع المجالس المحلية للمياه، برفع مستوى عمل محطات معالجة مياه الصرف الصحي، وأنشأت شبكات لمياه الصرف الصحي ومياه الأمطار وجددت محطات الضخ. يعرض هذا الفيلم لمشكلة مياه الصرف الصحي في غزة والمشاريع التي قامت بها اللجنة الدولية. مدة الشريط 11 دقيقة وهو متاح باللغتين العربية والإنكليزية.

التقرير السنوي للجنة الدولية للعام 2011

أصدرت اللجنة الدولية للصليب الأحمر تقريرها السنوي حول الأوضاع في العالم وأنشطتها لعام 2011. وبين التقرير أن الأزمات الكبيرة التي نشبت في العام 2011 في الشرق الأوسط وأفريقيا، فضلًا عن النزاعات المسلحة وحالات العنف الأخرى القائمة في كل أرجاء العالم، أدت إلى تعرض ملايين الأشخاص لقدر هائل من المعاناة امتدت لفترة طويلة حتى العام 2012 وجعلتهم يعتمدون بشكل كبير على المساعدات.

واستمر، في أماكن كثيرة، تعرض العاملين في المجال الطبي والمرافق الطبية للهجمات، مما كان يؤدي في أغلب الأحيان إلى تعذر الحصول بطريقة آمنة على الرعاية الصحية.

وبلغت نفقات اللجنة الدولية في العام 2011 أكثر من مليار فرنك سويسري (حوالي 1,2 مليار دولار أمريكي). وكانت الصومال مسرحًا لأكبر عملية من حيث النفقات، بالإضافة إلى عملياتها في أفغانستان، والعراق، والسودان، وباكستان، وكولومبيا، وجمهورية الكونغو الديمقراطية، وإسرائيل والأراضي المحتلة، واليمن، وليبيا.

للحصول على التقرير كاملا وتنزيله بصيغة PDF من على موقع اللجنة الدولية على الإنترنت: www.icrc.org/ara

فيلم: توصيل قرية بير الباشا بشبكة المياه

أخيرًا أصبحت قرية بير الباشا في الضفة الغربية مربوطة بشبكة المياه الرئيسية. ولأول مرة يستفيد 250 منزلًا فلسطينيًا من المياه الجارية طوال السنة، الأمر الذي أحدث تغييرًا جذريًا في حياة 1700 شخص.

وفي شهر كانون الأول/ديسمبر 2011، قدمت اللجنة الدولية دعمًا ماليًا أتاح لسلطة المياه الفلسطينية ربط القرية بشبكة المياه الرئيسية. يعرض هذا الشريط في 8 دقائق و40 ثانية التطور الذي طرأ على حياة سكان تلك القرية، وهو متاح باللغتين العربية والإنكليزية.

عدد جديد من مجلة الصليب الأحمر والهلال الأحمر

صدر العدد الأول لعام 2012 من مجلة الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر باللغة العربية وفيها موضوعات صحفية متنوعة من أماكن مختلفة في العالم، تبرز أهمية العمل الإنساني في مناطق النزاعات والأزمات والكوارث الطبيعية، إضافة إلى موضوعات متخصصة في القانون الدولي الإنساني، وتغطيات لأنشطة الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر حول العالم. ويحمل هذا العدد عنوان «من الأقوال إلى الأفعال» حيث يتناول في مقالات عدة كيفية تطبيق القانون الدولي الإنساني على أرض الواقع. كما يحتوي العدد على مقابلة مع رئيس اللجنة الدولية للصليب الأحمر جاكوب كيلينبرغر الذي ترك منصبه نهاية حزيران/يونيو بعد رئاسته للجنة الدولية لمدة 12 عامًا فيتحدث عن التحديات والإنجازات التي عاصرها خلال هذه الفترة، فضلاً عن مخاوفه وآماله للمستقبل. تصدر مجلة الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر ثلاث مرات في السنة باللغات العربية والإنكليزية والصينية والفرنسية والروسية والإسبانية، وهي تتوفر في 188 دولة، ويرأس تحريرها مالكولم لوكارد.

The current issue also highlights the situation of Syrian refugees in Lebanon, particularly in relation to urgently needed medical care, which they often failed to obtain at home due to fighting. In Syria itself, five Syrian Arab Red Crescent volunteers were killed during past months and many vehicles of the National Society were targeted, making it impossible to deliver assistance in some areas. In times of war, it is particularly important that medical services be protected. The red cross and red crescent emblems must be respected at all times.

In Syria and in the world, tens of thousands of Red Cross and Red Crescent volunteers are risking their lives every day to assist people in need, without seeking financial remuneration or glory. They deserve all due respect and protection. They perform valuable community work not only in times of war. This issue portrays the story of Red Cross volunteers in the Philippines, who decided to help their community by planting mangrove trees as a protection from seasonal floods. It is yet another story of hope and optimism about the human capacity to build and spread good deeds amist natural and man-made catastrophes.

"Al-Insani"

Dear writer: it is war !

Contents

• **Trees Against Wind To Rescue Our "Mother Earth"** By: **Cynthia Lee,** Media Coordinator, ICRC Manila
In a Filipino village on the Pacific, Al-Insani undergoes a unique experience with young men and women who voluntarily opted for growing Mangroves to protect their environment from winds and storms.

• **Lebanon: Meeting Medical Needs Of The Syrian Wounded** By: **Samar El-Qadi,** Media Officer, ICRC Beirut
Lebanon is hosting over 20,000 Syrian refugees. Its hospitals have become a main destination for wounded Syrians. How does the ICRC meet their needs?

• **Tragedy Of Waiting** By: **Ahad Godarziani,** Iranian Journalist
The Iraq-Iran war started in 1980 and ended in 1988. Yet, after 24 years, the search for missing persons from both sides continues.

• **Humanitarian Mission In The Heart Of The Desert** By: **Fouad Bawaba,** Media And Publication Officer, ICRC Kuwait
In an extremely high temperature under the burning sun of Kuwait, ICRC accompanied a team who spent three days in search of the remains of persons missing in the first Gulf war,whose families want to bring back.

• **Arms Trade Treaty: arms and ammunition are not just another form of commercial goods** By: **Christine Beerli,** Vice-President of the ICRC, Geneva. Christine Beerli delivered a speech in New York at the United Nations Diplomatic Conference on the Arms Trade Treaty that was held on 2-27 July 2012. She explains why ICRC sees in an effective Arms Trade Treaty an essential tool for ensuring the respect of IHL in armed conflicts.

• **Challenges To Health Care: From Absent Security To Ethics Of Practice...** An Interview By: **Zeinab Ghosn**
What are the challenges of providing health care to those who need it? What are the risks that threaten the safety of health care workers? How is this reflected on the service itself during armed conflict? Dr. Robin Coupland, who has a long experience with the ICRC fieldwork, provides the answers.

• **On Arafah, Who Lost His Life For Others** By: **Rama Rabea Humeid,** Media Department officer, ICRC Gaza Sub-delegation
Arafah, a volunteer ambulance officer for the Palestinian Red Crescent in Gaza, was killed while on his humanitarian duty, leaving behind four children and a wife who is a volunteer too. Here is his story.

• **The Middle East Water Crisis: A Path To War Or Peace?** By: **Michael Telhami,** ICRC's Regional Water and Environment Adviser for the Middle and Near East
The Middle East is facing a growing water shortage, which threatens its stability and warns of potential conflicts. Might this shortage open a path to peace through cooperation for the sustainable use of water?

• **Iraq's Environment Issues...And Postponed Solutions** By: **Haider Najm,** Iraqi Journalist, Member of the Arab Association of Science Journalists.
While the world celebrates the annual Global Environment Day on June 5th, Iraq's environmental issues, resulting from years of conflicts, seem to be at the bottom of concerns.

• **First Mission Like First Love** By: **Jens-Martin Mehler,** Protection Coordinator, ICRC North Caucasus
Ten years of working as an ICRC delegate have had a significant effect on the author's life, teaching him much about life, people and different cultures which he faced, and more importantly, about himself.

• **Challenges And Risks Facing "Cavalry" Of Heath Care**
Philippa Parker, a long-time ICRC nurse in the field, describes the challenges facing nurses today in countries afflicted by armed violence.

• **Photo Gallery: A Century Of Excellence In Nursing**
A host of photos looking back over a century of excellence in nursing worldwide on the anniversary of Florence Nightingale's birthday.

• **Iraq: Assisting Women To Build Their Future On Their Own**
Four testimonies by four Iraqi women supported by the ICRC, in their struggle to secure a future while maintaining their dignity

Dossier: Dear Writer.. It's War!
War may kill everything. However, strangely enough, it gives life to one thing, which is literature. But what effects are left by wars on the psychological states experienced by writers before writing? This dossier attempts to shed light on part of the mysterious relationship between literature and war.

• **Beginning Of History...Beginning Of Literature: Chants And Eulogies From Ancient Egypt** By: **Wahiba Saleh**, Egyptian Antiquities Researcher and Inspector. Since the days of the ancient State, Egypt had known war-related literary works used by pharaos to honor their memory and strike fear in their enemies' hearts. Examples of such works are reviewed in this article.

• **Literature Against War** By: **Mahdi Yazdani-Khoram,** Iranian Writer And Journalist, Director of Cultural Department, Mehrnameh monthly magazine. It may be difficult to list literary works which address war. However, a quick examination of the development of the literature of war highlights the prominent role of writers and intellects in opposing wars.

• **Reflections Of A Warrior Poet** By: **Hasan Abdel Hamid,** Iraqi Poet
Testimony of war experienced by the poet as a warrior and writer.

• **War And Literature In Egypt** By: **Mekkawi Saeed,** Egyptian Novelist,
The writer records how Egyptian literature addressed wars experienced by his country in the last century.

• **"The Neutrality Of Literature In The Time Of War" Crisis** By: **Sarkot Hamma Hussein,** Journalist From Kurdistan, Iraq
The impact of war on literature is not limited to producing significant literary works, since war can often change literature into a propaganda mouthpiece.

• **Warrior's Myth: A Renewed Life And Endless Power**
Drawings and selections of popular Arab literature, together with comments explaining the roots of the international humanitarian law in folklore selected by the late Egyptian artist Mohieddin El-Labbad, with texts explained by Tarek Yousif and photographed by Kamal El Din Khalifa, published by the ICRC in a book titled "Arabian Epics" in 1996.

• **IHL In Video Games**
What are the opportunities of using video games to promote IHL? A major question discussed by the International Movement of the Red Cross and Red Crescent during its latest conference in Geneva.

• **Humanitarian Action 2.0: Saving Lives Through The Internet**
Patrick Mayer, an expert, discusses how to use the internet and communication technology to assist humanitarian workers in saving lives in the field during crises.

• **Without Retouches: Do You Carry A Weapon? Yes....I Carry A Pen** By: **Abdel Kadir Kalhor,** Journalist from Kurdistan, Iraq.

• **Poetry: An Attempt Against Death** By: **Omar Shalabi,** Lebanese Poet and Writer

• **Around The World**

Editorial

Search for hope

War forces men, women and children to take dramatic choices to save their lives. Some people decide to stay put, hoping to find a shelter within or near their homes. Others prefer to flee, seeking a safer place inside or outside the country.

In war, there is no "good choice" to make. Whatever path will bring lots of sufferings and anxiety. Those who stay have to cope with the fact that their lives can be in danger at any given moment, and that they have to face shortages of water, food and electricity. Health services too are often overstrechted or completely lacking.

Those who flee their homes to a safer place elsewhere are often haunted by a feeling of alienation and apprehension for years to come. People displaced within their country, and refugees who try to settle in a new country, are all in need of humanitarian and psychological support similar to those persons who remain in the embattled areas.

This latest "Al-Insani" issue gives the floor to writers and poets who have experienced war in one way or another. The horrors and suffering witnessed by them can be traced in their stories and poems.